

سلسلة التنشئة المسيحيّة

١٢

نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها

(مرقس ١٦/١٥)

زمن العنصرة

الآحاد الثمانية الأولى

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

بشاره الراعي

مطران جبيل

منشورات

جامعة سيدة اللويزة

NDU PRESS

نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها

نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها
زمن العنصرة

تـألـيــف المطران بشاره الرّاعي

منشــورات جامعة سيّدة اللويزة ©

ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل - لبنان

تلفون: ١/ ٠٩/٢١٨٩٥٠

فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١

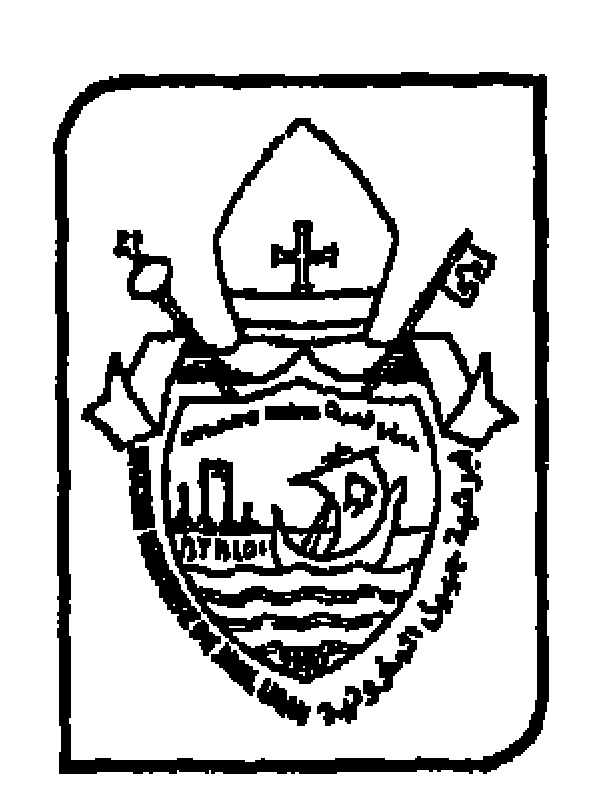
www.ndu.edu.lb

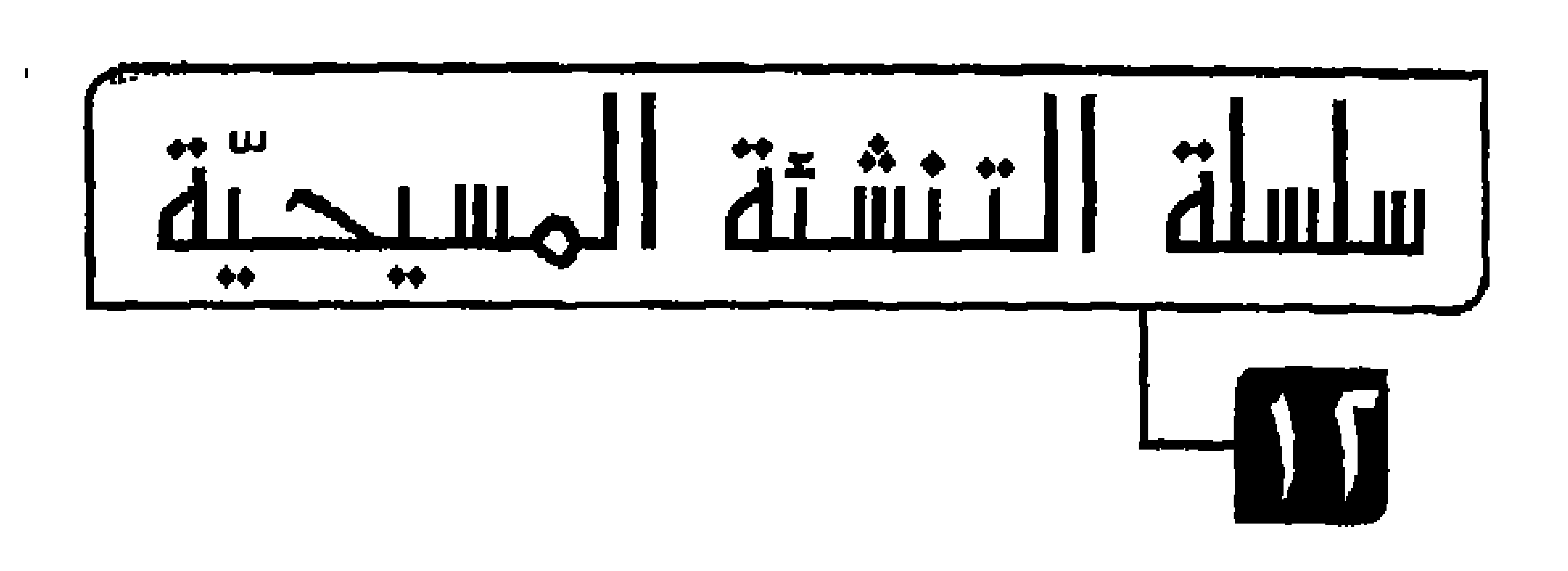
الطّبعة الأولى ٢٠٠٦

القـيــاس ١٤,٥ × ٢١,٥ سم

تـنـفـيـذ مطابع معوشي وزكريّا

ISBN 978-9953-457-15-4





نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها

(مرقس ١٦/ ١٥)

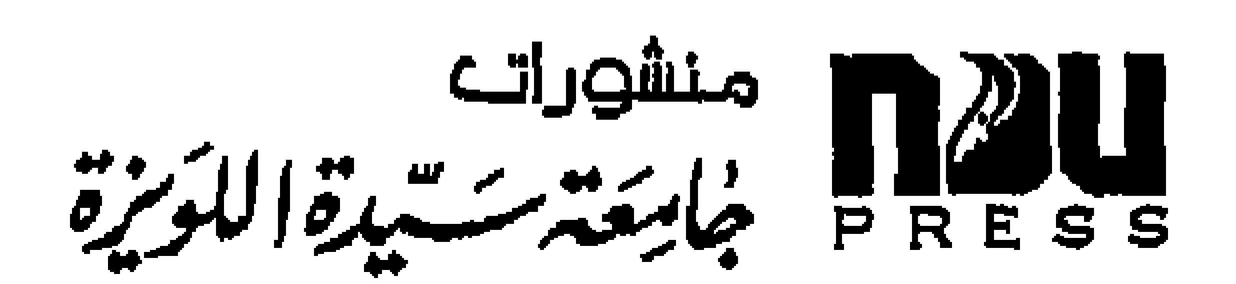
زمن العنصرة

الآحاد الثمانية الأولى

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

بشاره الراعي

مطران جبيل



المحتوى

تقديم

يطيب لي أن أقدّم للكهنة والرهبان والراهبات والمؤمنين العلمانيين العدد الثاني عشر من سلسلة التنشئة المسيحيّة لزمن العنصرة، ويشمل الآحاد الثمانية الأولى من أصل ستة عشر أسبوعًا، وهو بعنوان: "**نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها**" (مر ١٦/١٥).

يتألّف موضوع كلّ أحد من ثلاثة أقسام: شرح نصّ الإنجيل من الناحية اللاهوتيّة والخلقيّة والحياتيّة، وراعويّة السلام والديموقراطيّة، وخطّة راعويّة لتطبيق النصّ التاسع عشر من المجمع البطريركيّ المارونيّ "الكنيسة المارونيّة والسياسة"، حسب الخطّة الخمسيّة التي وضعتها الأمانة العامّة للمجمع.

إنّ سلسلة التنشئة المسيحيّة تلبّي دعوة الكنيسة إلى تثقيف الايمان عند المؤمنين، وإلى تزويد كهنة الرعايا ومرشدي المنظّمات الرسوليّة والهيكليّات الرعويّة والجماعات العيليّة ومعلّمي التعليم المسيحيّ، بما يساعدهم على إعداد العظات والإرشاد والتعليم واللقاءات الانجيليّة، وفقًا للأحداث الخلاصيّة المتسلسلة في السنة الليتورجيّة.

هي الكنيسة، على هدي إلهامات الروح القدس، تنطلق بقوّة محبّة الآب

ونعمة الابن الفادي الذي أرسلها إلى جميع شعوب الأرض والثقافات، من جيل إلى جيل، وصدى وصيّته يتردّد في ضمير رعاتها وأبنائها وبناتها: "**إنطلقوا إلى العالم كلّه، ونادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها**" (مرقس ١٦/ ١٥).

† بشاره الراعي
مطران جبيل

الأحد ٢٧ أيّار ٢٠٠٧

أحد العنصرة

العنصرة حدث متجدّد

إنجيل القدّيس يوحنّا ١٤/١٥-٢٠

قال الربّ يسوع لتلاميذه: «إن تحبّوني تحفظوا وصاياي. وأنا أسأل الآب فيعطيكم برقليطًا مؤيّدًا يكون معكم إلى الأبد. هو روح الحقّ الذي لا يقدر العالم أن يقبله، لأنّه لا يراه، ولا يعرفه. أمّا أنتم فتعرفونه، لأنّه مُقيم عندكم، وهو فيكم. لن أترككم يتامى. إنّي آتي إليكم. عمّا قليل لن يراني العالم، أمّا أنتم فترونني، لأنّي أنا حيٌّ وأنتم ستحيون. في ذلك اليوم تعرفون أنّي أنا في أبي، وأنتم فيّ وأنا فيكم».

***

فيما كان الرسل، ومريم أمّ يسوع معهم، مجتمعين في اليوم الخمسين للاحتفال بعيد العنصرة، حسب العادة اليهوديّة، وكان في أورشليم عدد كبير من شعوب الأرض للاحتفال بهذا العيد (أعمال ١/٢ و٥)، حدثت العنصرة الجديدة المتمثّلة بحلول الروح القدس على الرسل.

■ أوّلاً، حدث العنصرة المتجدّد

١. حدث العنصرة (أعمال ٢/١-١٣)

كان الاحتفال بالعنصرة القديمة بعد خمسين يومًا من الفصح اليهوديّ،

وهي معروفة باللفظة اليونانيّة pentecostés، احتفالاً بعيد الأسابيع السبعة (طوبيّا ٢/١)، لجمع الغلّة من منتوجات الأرض (عدد ٢٦/٢٨ وما يليها)، فيقدّمون فيه لله بواكير القمح (خروج ١٦/٢٣؛ تثنية ٩/١٦). ثمّ راحوا يعيّدون، في زمن الربّ يسوع، تذكار تسليم شريعة الله القديمة بلوحي الوصايا لموسى على جبل سينا.

حلّت **العنصرة الجديدة** محلّ القديمة، مثلما حلّ فصح المسيح محلّ فصح اليهود، فبعد خمسين يومًا من قيامة الربّ يسوع، كان حلول الروح القدس على الكنيسة الناشئة "بقدرة من علُ جعلت الرسل شهودًا للمسيح إلى أقاصي الأرض" (أعمال ٢٨/١) وكان بمثابة غلّة التجسّد والفداء. وهكذا سُلّمت **الشريعة الجديدة** بحلول الروح القدس، وهي شريعة الحياة الإلهيّة "المكتوبة" في قلوب بشريّة، بدلاً من ألواح من حجر. إنّها الشريعة الروحيّة التي طبعت العهد الجديد الأبديّ وكرّست شعب الله الجديد، الذي هو الكنيسة، بالنبوءة والكهنوت والملوكيّة على مثال المسيح (١ بطرس ٢/ ٩ ١٠). هذا ما أكّده القدّيس أغسطينوس: "بعد خمسين يومًا من تقدمة حمل الفصح اليهوديّ في مصر، وخروج شعب الله منها، كتب أصبع الله وصاياه، وسلّمها إلى موسى على جبل سينا. واليوم، بعد خمسين يومًا من تقدمة حمل الفصح الجديد، يسوع المسيح، كتب أصبع الله، الذي هو الروح القدس"، هذه الحياة الجديدة ووصيّة المحبّة في قلوب أبناء الكنيسة.

ظهرت حقيقة حلول الروح القدس في الرموز: الرياح الشديدة والألسن الناريّة والتكلّم باللغات: **الريح أو الهواء** رمز لهبوب الروح القدس، قاله يسوع لنيقوديمس: "الريح تهبّ حيث تشاء، أنت تسمع صوتها، ولكنّك لا تدري من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا هي حال كلّ إنسان مولود من الروح" (أعمال ٨/٣). لفظة "روح" تحتوي نسمة الحياة. فالله، عندما خلق

الانسان، "نفخ فيه نسمة الحياة" (تك ٢/٧). وما زال يفعل ذلك في كلّ مرّة يتكوّن إنسان في بطن أمّه. وهكذا فإنّ الروح هو مبدأ الحياة. والربّ يسوع في مساء قيامته من الموت "نفخ في التلاميذ وقال لهم: خذوا الروح القدس" (يو ٢٠/٢٢)؛ الروح هو مبدأ الحياة الإلهيّة في المؤمنين، وهو القدرة على محو الخطايا: "من غفرتم خطاياه غفرت" (يو ٢٠/٢٣).

الألسن من نار رمز لقوّة الروح القدس التي تغيّر جوهر الأمور والأشياء، وقد رَمَزَ إليها المسيح قائلاً: "جئت ألقي على الأرض نارًا، وأريد أن تكون اضطرمت" (لو ١٢/٤٦)، ويوحنّا المعمدان في الإعلان أنّ يسوع، الذي هو أقوى منه، "سيعمّدكم بالروح القدس والنار" (لو ٣/١٦)، وبولس الرسول في دعوة الجميع "لئلاّ يطفئوا الروح" (١ تسا ٥/١٩)، هذه النار التي تعطي القوّة والغيرة للرسالة، كما قيل عن إيليّا النبيّ أنّه "قام واتّقد كالنار" (سيراخ ٤٨/١)، وعن يوحنّا المعمدان "الذي سار أمام الربّ بروح إيليّا وغيرته" (لو ١/١٧).

التكلّم باللغات رمز للروح القدس الذي هو مبدأ شموليّة الكنيسة الجامعة المنفتحة على جميع الشعوب والمرسلة إليها، والذي يلهم المؤمنين فيتنبّأون متكلّمين بحقائق الله الموحاة، كما شرح بطرس حدث حلول الروح القدس غير المنظور (أعمال ٢/١٧-١٨). لكنّ اللغة واحدة يفهمها كلّ الشعوب مهما اختلفت ألسنتهم، وهي المحبّة، لغة الروح القدس المفاض في قلوبنا.

٢. الروح البارقليط وعمله في المؤمنين والكنيسة (يو ١٤/١٥-٢٠)

هذا الروح يعطيه الآب، بطلب من الربّ يسوع، للّذين يحبّونه حافظين شريعة المحبّة المتمثّلة في الوصايا العشر: محبّة الله والوالدين وكلّ إنسان،

ومتقبّلين كلام الانجيل في القلب، وعاملين به (يو ١٤/٢٣)، وسالكين في نور الحقيقة التي كشفها المسيح للعالم (١ يـو ٢/٤-٦) . "**إنّه روح المحبّة والحقيقة**" (يو ١٤/١٥ و١٧).

هو "**البارقليط**" الذي يدافع عن المؤمن بوجه الظلم والضلال، كما تعني اللفظة اليونانيّة paràclete، والذي يساعد ويعضد، ويشفع، ويعزّي. إنّه بارقليط آخر بالنسبة إلى **بارقليط** أوّل، هو المسيح، به يصبح المؤمنون أبناء لله في الابن الوحيد: "تعرفون أنّي في أبي وأنّكم فيّ وأنا فيكم (يو ١٤/٢٠)؛ ولكنّه "يبقى إلى الأبد" مع الرسل والكنيسة. هذا ما يعنيه يسوع بقوله في إنجيل يوحنّا: "لا أغادركم يتامى، لأنّي أعود إليكم" (يو ١٤/١٨)، وفي **إنجيل متّى**: "أنا معكم جميع الأيّام إلى انتهاء العالم" (متّى ٢٨/٢٠). وقد تحقّق ذلك بواسطة الروح القدس الذي عضد الرسل في ممارسة سلطان الخدمة المثلّثة: خدمة الكلمة بالتعليم، والنعمة بالتقديس، والمحبّة بالتدبير (متّى ٢٨/١٨-٢٠)، و"ثبّت كلماتهم بالآيات التي كانوا يصنعونها" (مر ١٦/٢٠)، و"فتح أذهانهم ليفهموا الكتب" (لو ٢٤/٤٥).

لقد ظهر عمل الروح البارقليط في **حياة يسوع المسيح** بأنواع شتّى:

ظهر يوم معموديّته على نهر الأردن، وقد رآه يوحنّا المعمدان نازلاً بشكل حمامة واستقرّ على يسوع (يو ١/٣٢)؛ ويوم دخل يسوع **مجمع الناصرة** وقرأ من أشعيا النبيّ: "روح الربّ عليّ، مسحني وأرسلني"، وقال: "اليوم تمّت هذه الكتابة" (لو ٤/١٦-٢١)؛ وظهر عندما **اقتاده الروح إلى البريّة** وعضده في الانتصار على تجارب الشيطان (لو ٤/١-١٣)؛ وعندما عزّاه **في بستان الزيتون** وشدّده ليصمد في تتميم إرادة الآب لفداء البشريّة جمعاء (لو ٢٢/٤٣)؛ وعندما مات **فوق الصليب** وأسلم للآب هذا الروح (يو ١٩/٣٠)

الذي أحيا بشريّته منذ التجسّد حتّى الفداء، وقد أحبّ الناس حتّى النهاية (يو ١٣/١). وظهر الروح **قوّة** أقامت يسوع من الموت (روم ٨/٤-١١؛ ٢ كور ١٧/٣) ، **وهبة للرسل** نفخها فيهم يسوع حياة جديدة وسلطانًا لمغفرة الخطايا (يو٢٠/١٩-٢٢)، وأرسلها إليهم، يوم العنصرة، قوّة من السماء (لو ٢٤/٤٩) لرسالة الشهادة (أعمال ١/١٣-١٤؛ ٢/١-٤).

هذا هو سرّ **الروح القدس** الذي ظهر في حياة المسيح:

المسيح يولد، الروح يسبقه في إتمام حبل مريم البتول بقوّة هذا الروح (لو ١/٣٥).

المسيح يُعمَّد، الروح يشهد له بحلوله على رأسه بشبه حمامة (مر ١/١٠).

المسيح يُجرَّب، الروح ينصره ويعيده إلى الجليل لإتمام الرسالة (لو ٤/١٤).

المسيح يجترح العجائب، الروح يرافقه قوّة إلهيّة.

المسيح يُرفع إلى السماء، الروح يأتي بعده باراقليطًا آخر (يو ١٤/١٦).

إنّ عمل البارقليط ظاهر في **مواهبه السبع التي يفيضها على المؤمنين**، وهي:

الحكمة والفهم ليعضد إيمانهم ويساعدهم في الاجابة على تساؤلاتهم.

المشورة والعلم لتمييز طريقهم، وإنارة قراراتهم، ومعرفة ما يجب فعله وقوله، وما يجب أن يفكّروا به أو يصمتوا عنه.

القوّة للثبات بوجه المحن والمصاعب.

تقوى الله ومخافته لاذكاء محبّتهم لله والناس.

ويكشف يوحنّا وبولس أنّ الروح البارقليط هو الذي يصلّي فينا، (روم ٨/١٦)، ويسكن (غلا ٤/٦)،ويحيا (روم ٨/١٤ غلا ٥/٢٥)، ومن خلالنا يحبّ (يو ١٧/٢٦).

هذا الروح البارقليط أعطي **على الأرض** للتلاميذ. "نفخ فيهم وقال: خذوا الروح القدس" (يو ٢٠/٢٢)، **ثمّ أرسل من السماء** يوم العنصرة (يو ١٤/١٦) "لكي نحبّ الله" (القدّيس غريغوريوس الكبير).

■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

عالم اليوم، ولاسيّما في لبنان والشرق العربيّ، آخذ في فقدان ثقافة السلام والديموقراطيّة، وبخاصّة لدى المسؤولين السياسيين والمنتمين إلى الأحزاب والتيّارات. وقد دفعنا وما زلنا ندفع الثمن الغالي لهذا الفقدان.

نواصل في زمن العنصرة نشر ثقافة السلام من خلال رسالة يوم السلام العالميّ (أوّل يناير ٢٠٠٧) لقداسة البابا بندكتوس السادس عشر **"الشخص البشريّ قلب السلام"**، ونشر ثقافة الديموقراطيّة بالاستناد إلى الوثائق الحبريّة. وبهذا نؤازر عمل **لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة** المنبثقة من مجلس البطاركة الكاثوليك في لبنان.

١. **السلام**، في رسالة البابا "الشخص البشريّ قلب السلام"، **يقوم على الالتزام بقواعد الحقّ الطبيعيّ وأوّلها الحقّ في الحياة والحريّة الدينيّة.** إنّه يقوم أساسًا على احترام كلّ كائن بشريّ وحقوقه الأساسيّة، لأنّ طبيعته تعكس صورة الله. فلا يحقّ لأيّ سلطة سياسيّة وتقنيّة واقتصاديّة أن تتصرّف بالانسان على هواها أو أن تستخدم نفوذها لانتهاك حقوق أناس أقلّ حظًّا منها.

أ. يقوم السلام على احترام الحقّ في الحياة

إنّ الحياة تُحترم في جميع مراحلها، فهي عطيّة من الله، وصاحبها لا يمكنه أن يتصرّف بها كما يشاء. **الحقّ في الحياة لا يخضع لسلطة الانسان.** والسلام يحتاج إلى إقامة حدّ واضح بين ما يمكن التصرّف به، وما لا يمكن التصرّف به: وهذا ما يجنّب إدخال عناصر غير مقبولة في تراث القيم الخاصّة بالانسان بوصفه إنسانًا. لذلك يجب التشهير بكلّ الانتهاكات المخيفة التي ترتكب ضدّ هذا الحقّ في مجتمعنا: فضلاً عن ضحايا النزاعات المسلّحة، هناك الموت الصامت الذي يتسبّب به الجوع، والاجهاض والاختبارات التي تجري على الأجنّة، والموت الرحيم. كيف يمكننا ألاّ نرى في كلّ ذلك اعتداءات على السلام، تشكّل نقصًا فاضحًا لموقف تقبّل الآخر، وهو موقف لا بدّ منه لاقامة علاقات سلام طويل الأمد (فقرة ٤ و٥).

ب. ويقوم السلام على احترام الحريّة الدينيّة

تطالب الكنيسة باحترام الحريّة الدينيّة لكلّ إنسان، **كأساس للسلام**، لأنّ تأكيدها يجعل الكائن البشريّ في علاقة بمبدأ سامٍ يضعه في مأمن من استبداد الانسان. وهي **كتعبير حرّ** عن الايمان بالله، لا تخضع لسلطة الانسان. غير أنّنا نرى مظهرًا مقلقًا يتمثّل في فقدان السلام في العالم، هو ما يلقاه المسيحيّون، في غالب الأحيان، ومؤمنو أديان أخرى، من صعوبات في المجاهرة علنًا بمعتقداتهم الدينيّة. فهم لا يمنعون فقط في بعض الأصقاع من الممارسة الدينيّة، بل يضطهدون، وقد أمكن مؤخّرًا تسجيل أحداث عنف مأساويّة بغيضة. وهناك أنظمة تفرض على الجميع ديانة واحدة، فيما هناك أنظمة لا مبالية لا تغذّي اضطهادًا عنيفًا وحسب، بل استهزاءً ثقافيًّا منظّمًا بالمعتقدات الدينيّة. وفي كلّ الحالات، ثمّة حقّ إنسانيّ أساسيّ غير محترم،

له تأثيره الخطير على العيش المشترك السلميّ. وهذا يعمل على تطوير عقليّة وثقافة سلبيّتين بالنسبة إلى السلام (فقرة ٥).

٢. **الديموقراطيّة**، في إطارها الصحيح، هي التي تفسح في المجال لجميع المواطنين، مسيحيين ومسلمين وسواهم، ليشاركوا في إدارة الشأن العامّ في جوّ من الحريّة الحقّة. غير أنّ الديموقراطيّة تقتضي وجود سلطة حازمة من جهة، ووجود قيم تستحثّ المواطنين على خدمة بني قومهم من جهة ثانية. عندئذٍ يمكننا الاعتقاد بحقّ أنّ مستقبل البشريّة في أيدي أولئك الذين استطاعوا أن يهيّئوا للأجيال الطالعة أسباب الحياة والرخاء (الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٣١).

من ميزات الديموقراطيّة أن تبتكر صيغًا جديدة وأوسع للمشاركة في الحياة العامّة من قبل المواطنين، فضلاً عن الاقتراع في الانتخابات النيابيّة وسواها. من بين هذه الصيغ، المشاركة في تحديد التطلّعات السياسيّة والخيارات التشريعيّة التي تخدم، بشكل أفضل، الخير العامّ (المرجع نفسه، ٧٥؛ مجمع عقيدة الايمان: تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك ومسلكهم في الحياة السياسيّة، ١).

يؤثر المسيحيّون النظام الديموقراطيّ لأنّه يتيح للجميع ولكلّ فرد إمكانيّة المشاركة في "السياسة"، أي في النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ والتشريعيّ والإداريّ والثقافيّ الذي يستهدف الخير العامّ. فلا يجوز أن يتخلّى المسيحيّون عن هذه المشاركة، مهما صعبت ظروفها، لأنّ من واجبهم أن يبثّوا الروح المسيحيّة في النظام الزمنيّ، عن طريق خدمة الشخص والمجتمع. ويمكن لهذه المشاركة أن تتحقّق من خلال أشكال

ومستويات ومهمّات ومسؤوليّات متنوّعة ومتكاملة إلى حدّ كبير (الارشاد الرسوليّ: العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٤٢).

ليس من الديموقراطيّة بشيء أن يخوّل المواطنون أصحاب السلطة السياسيّة نفوذًا يفوق الحدّ، مقابل خدمات شخصيّة وفئويّة، أو أن تسعى الأحزاب السياسيّة إلى تفضيل مصلحتها على مصلحة البلاد والجماعة (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٥).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

عملاً بالخطّة الخمسيّة التي وضعتها الأمانة العامّة لتطبيق نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ الثلاثة والعشرين، فبعد النصوص الأربعة الأوّل التي استعرضناها في الأزمنة الطقسيّة السابقة، نصل في زمن العنصرة، إلى **النصّ التاسع عشر: الكنيسة المارونيّة والسياسة.**

تعنى الهيكليّات والجماعات الراعويّة والتربويّة والرهبانيّة والاجتماعيّة بالتفكير الأسبوعيّ في هذا النصّ وفقًا للخطّة المرسومة، من أجل تقبّله واكتساب الثقافة السياسيّة والعمل بموجبها.

يتألّف النصّ **من ثلاثة فصول** تتّبع المنهجيّة المجمعيّة المعتمدة: الأوّل، المسار التاريخيّ، وهو العودة إلى الجذور من أجل تحديد الهويّة والرسالة؛ الثاني، مرحلة ما بعد حرب ١٩٧٥ واتّفاق الطائف ١٩٨٩، وهو تسليط أضواء الماضي على الحاضر لتجديد ما يلزم وبلورة الثوابت؛ الثالث، التحدّيات، وهو رسم خطّة مستقبليّة لحماية الهويّة وتحديد أطر الرسالة.

عند الكلام عن الكنيسة المارونيّة والسياسة نعني أمرين: أوّلاً، **الكنيسة كمرجعيّة** دينيّة تتعاطى الشأن السياسيّ، وهي متمثّلة بالبطريركيّة

المارونيّة، بطريركًا ومجلس مطارنة؛ ثانيًا، **الموارنة أبناء الكنيسة** على مختلف انتماءاتهم واتجاهاتهم في لبنان وبلدان الانتشار، الملتزمين في أشكال الحياة العامّة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة. فقرة ٣).

لقد تميّز نشاط الموارنة السياسيّ عبر الحقبات التاريخيّة، في عهود الأنظمة الإمبراطوريّة حتّى الحرب العالميّة الأولى، وفي عهد نشأة الدولة منذ مطلع القرن الماضي، بخبرات أساسيّة غلَب فيها **مبدأ الانفتاح والوصل** على مبدأ الانغلاق والفصل، فتعاونوا مع الغير بغية خلق إرادة عيش مشتركة، ورفضوا دائمًا أن يكون لهم بلد يتفرّدون به وحدهم. وكانت **الحريّة الدينيّة والاجتماعيّة** المتأصّلة فيهم روح هذا النشاط وغايته. كما كانت عامل اطمئنان وانفتاح في الداخل والخارج، وأداة للتواصل مع دول وثقافات وحضارات متنوّعة كسبًا للمعرفة. هذه الحريّة إيّاها حملت الموارنة أحيانًا على الانطواء والانكفاء صونًا لها ولقيمها، في مراحل الخوف والقلق (فقرة ٣-٣). ولأنّهم انخرطوا في المعترك السياسيّ، من أجل الصالح العامّ والقيم، كانت لهم أخطاؤهم في الممارسة السياسيّة والخيارات (فقرة ١).

***

صلاة

نفتتح زمن العنصرة بصلاة استدعاء الروح القدس:

"هلم أيّها الروح القدس، وأرسل من السماء شعاع نورك.

هلمّ يا أبا المساكين، هلمّ يا مانح المواهب، هلمّ يا ضياء القلوب.

يا معزّيًا جليلاً، يا ضيف النفس العذب، يا هناءً حلوًا.

أنت في الكدّ راحة، وفي الحرّ برودة، وفي البكاء عزاء.

يا بهجة النور، إملأ قلوب من آمنوا بك، إملأها حتّى الصميم.

بدون معونتك، ليس في الانسان شيء، وليس من شيء سليم.

نقٌّ ما كان دنسًا، أروِ ما كان جافًّا، واشفِ منّا الجراح.

ليّن ما كان صلبًا، دفِّئ ما كان باردًا، وقوّم منّا الانحراف.

إمنح عبيدك المتوكّلين عليك مواهبك السبع المقدّسة.

إمنحهم الفضيلة ثوابًا، والخلاص مصيرًا، والفرح سعادة أبديّة. آمين.

الأحد ٣ حزيران ٢٠٠٧

الأحد الثاني من زمن العنصرة

عيد الثالوث الأقدس ينبوع رسالة الكنيسة

إنجيل القدّيس متّى ٢٨/١٦-٢٠

«أمّا التلاميذ الأحد عشر فذهبوا إلى الجليل، إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولمّا رأوه سجدوا له، برغم أنّهم شكّوا. فدنا يسوع وكلّمهم قائلاً: «لقد أعطيت كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض. إذهبوا إذًا فتلمذوا كلّ الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى نهاية العالم».

***

بعد إنجاز تصميم الله الخلاصيّ الذي أعدّه **الله الآب** فأرسل **الابن الوحيد** متجسّدًا لفداء بني البشر، والروح القدس لتحقيق ثمار الفداء فيهم (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٢-١٤)، تحتفل الكنيسة بعيد الثالوث الأقدس، في الأحد الأوّل بعد العنصرة، لأنّها تبدأ رسالتها باسم الثالوث وتنهيها بتمجيده.

إنجيل اليوم يحدّد رسالة الكنيسة التي تسلّمها الرسل، كهنة العهد الجديد، وسلّموها بدورهم إلى الأساقفة خلفائهم، وهؤلاء مارسوها مع معاونيهم الكهنة والشمامسة، بمؤازرة المكرّسين والمكرّسات والمؤمنين العائشين وسط العالم.

■ أوّلاً، شرح الانجيل

١. الثالوث الأقدس ينبوع رسالة الكنيسة

الله هو شركة حبّ كاملة بين الآب والابن والروح القدس. والانسان المخلوق من الله مدعوّ إلى هذه الشركة، إذ نفخ فيه الله نسمة حياة إلهيّة (تك ٢/٧). ولكن في المسيح المائت فداءً لخطايا البشر، والقائم من أجل تبريرهم، وفي حلول الروح القدس، أصبح الانسان شريكًا في الحياة الإلهيّة التي تُعطى له في سرّ القربان، بجسد المسيح ودمه، الخبز النازل من السماء (يو ٦/٣٢-٣٣ و٥٦).

إنّ تصميم الحبّ الإلهيّ يقود كلّ تاريخ الخلاص. الله الثالوث، الذي هو في ذاته محبّة (١ يو ٤/٧-٨) يلتزم كليًّا بالواقع البشريّ، ليعطينا حياته الإلهيّة. فسلّم الكنيسة هذه الرسالة التي تسلّمها الابن الالهيّ: "كما أرسلني أبي، أرسلكم أنا أيضًا" (متّى ٢٨/). إنّها رسالة نقل محبّة الله إلى جميع البشر، "فمن يرى المحبّة يرى الثالوث" (القدّيس أغسطينوس)، وتتمّ بالسلطان المثلّث المعطى للرسل وخلفائهم وكهنة العهد الجديد:

- التعليم: "إذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم" (متّى ٢٨/١٩).
- والتقديس: "عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متّى ٢٨/١٩).
- والتدبير: "علّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصيتكم به" (متّى ٢٨/٢٠).

إنّ الرسالة مع مهامّها تنبع من الأفخارستيّا التي هي سرّ الله، الحبّ الثالوث (البابا بندكتوس السادس عشر: الارشاد الرسوليّ "سرّ المحبّة"، ٧). هذا ما أكّده الربّ للكنيسة ولرعاتها. "أنا معكم طول الأيّام إلى انتهاء العالم" (متّى ٢٨/٢٠). وهي معطاة بسلطان إلهيّ إلى الأساقفة، ومن خلالهم إلى

معاونيهم الكهنة والشمامسة بحكم الدرجة المقدّسة في الرسامة والتولية القانونيّة. وقد نصّ عليها القرار المجمعيّ حول "مهمّة الأساقفة الراعويّة في الكنيسة" (الفقرات ١٢-١٦)، والدستور العقائديّ "في الكنيسة" (الفقرات ٢٥-٢٧)، بالنسبة إلى الأساقفة؛ أمّا بالنسبة إلى الكهنة، فقد نصّ عليها القرار المجمعيّ حول "خدمة الكهنة وحياتهم" (الفقرات ٤-٦). ويشارك في رسالة الكنيسة بمهامّها الثلاث المكرّسون والمكرّسات بحكم النذور الرهبانيّة والوعود العموميّة، والمؤمنون العلمانيّون بحكم المعموديّة والميرون، وقد نصّ عليها القرار المجمعيّ حول "رسالة العلمانيين في العالم" (الفقرات ٥-٨).

كلّنا ملتزمون برسالة الكنيسة، لأنّ كنيستنا قربانيّة، وقد ولدت من الأفخارستيّا ومنها تحيا (أنظر رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني: "الكنيسة من الأفخارستيّا تولد")، ولذلك هي رساليّة. فالأفخارستيّا ليست فقط "ينبوع حياة الكنيسة وذروتها"، بل هي أيضًا "ينبوع رسالة الكنيسة وذروتها". في الواقع، جوهر الرسالة هو معرفة المسيح ونقل محبّته إلى الآخرين، فهو المرسل من الآب لفداء العالم (يو ٣/١٦-١٧)؛ روم ٨/٣٢). المشاركة في المناولة القربانيّة إندراج في ديناميّة رسالة الكنيسة النابعة من قلب الله ("سرّ المحبّة"، ٨٤).

٢. باسم الثالوث القدّوس ولمجده

الله الواحد في جوهره وطبيعته ليس منفردًا، بل هو **مثلّث الأقانيم**: آب وابن وروح قدس، يتميّز الواحد عن الآخر لا في الطبيعة فإنّهم جوهر واحد، بل بالعلاقة الواحد بالآخر مثل المثلّث في علم الهندسة. فالابن مولود أزليًّا من الآب وغير مخلوق كالشعاع من الشمس، والروح القدس منبثق من الآب بواسطة الابن مثل نور الشمس وحرارتها. أفعال الثالوث القدّوس مشتركة أعني الخلق والفداء والتقديس، ولكن كلّ واحد من الأشخاص

الإلهيّة الثلاثة يقوم بالفعل الخاصّ به: الآب أنجز الخلق، والابن الفداء، والروح القدس التقديس. إنّ الثالوث الأقدس لا يعني ثلاثة آلهة، بل إلهًا واحدًا بثلاثة أقانيم.

سرّ الثالوث هو السرّ المحوريّ للايمان المسيحيّ والحياة المسيحيّة، وهو المصدر والينبوع لكلّ أسرار الايمان، والنور الذي يضيئها (التعليم المسيحيّ، ٢٣٤). إنّ حقيقته الموحاة أعلنت بواسطة المعموديّة إنطلاقًا من كلام الربّ يسوع: "عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متّى ١٩/٢٨). ثمّ صيغت في الكرازة والتعليم كما نجدها في رسائل القدّيس بولس (٢ كور ١٣/١٣؛ ١ كور ١٢/٤-٦؛ أفسس ٤/٤-٦). وأصبحت جزءًا من القدّاس في افتتاح قسم الذبيحة المعروف بالنافور: "محبّة الله الآب ونعمة الابن الوحيد، وشركة وحلول الروح القدس تكون معكم".

حدّد المجمع المسكونيّ الأوّل عقيدة الثالوث الأقدس باستعمال ثلاث لفظات (التعليم المسيحيّ، ٢٥٢-٢٥٥):

الأولى، "الجوهر" أو "الطبيعة" للدلالة على **الكائن الالهيّ في وحدانيّته**. فنقول **الثالوث الواحد**. لا نؤمن بثلاثة آلهة بل بإله واحد في ثلاثة أقانيم، الثالوث المتساوي في الجوهر. الأشخاص الإلهيّة لا يتقاسمون الطبيعة الوحيدة بل كلّ شخص هو الله كلّه، أي إله واحد في الطبيعة، وكلّ شخص هو كلّ الجوهر والطبيعة (أنظر مثلّث علم الهندسة).

الثانية، "الشخص" أو "الأقنوم" للدلالة على الآب والابن والروح القدس في **تمايزهم الحقيقيّ الواحد عن الآخر**، من جهة علاقاتهم الأصليّة: الآب هو المصدر الذي يلد، لا يخلق، الابن هو المولود، الروح القدس هو الذي ينبثق. فنقول **الوحدانيّة الالهيّة ثالوث**.

الثالثة، "العلاقة" للدلالة على أنّ واقع التمايز قائم في **الارتباط بين الأشخاص:** الآب مرتبط بالابن، والابن بالآب، والروح بالاثنين، والجوهر واحد. **وكلّ واحد منهم هو كلّه في الآخر.**

نعبّر عن إيماننا بالثالوث في **إشارة الصليب**. نبدأ بها كلّ عمل: **"باسم** الآب والابن والروح القدس" استلهامًا واستنجادًا واستنادًا؛ وننهي **"بالمجد** للآب والابن والروح القدس" تمجيدًا وشكرًا وتسبيحًا.

■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. في تعليم قداسة البابا بندكتوس السادس عشر بمناسبة يوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧) بعنوان "الشخص البشريّ قلب السلام"، تأكيد أنّ **السلام يقوم على احترام القواعد الطبيعيّة** التي كتبها الخالق الالهيّ في ضمير الانسان. ومن بينها **مساواة جميع الناس من حيث الطبيعة.**

فالمساواة الأساسيّة بين الناس، النابعة من كرامتهم المشتركة، تشكّل عنصراً مهمًّا للغاية بالنسبة إلى بناء السلام، **لأنّها تؤمّن خير الجميع**. وهو خير لا يمكن إهماله أو امتهانه من دون إثارة تداعيات خطيرة تضع السلام في خطر، بل تصيبه بجرح عميق. إنّ هذا الخير يشمل الطعام والماء والمنزل والصحّة والحقوق الأساسيّة لكلّ من الرجل والمرأة. الفوارق الموجودة في العالم على هذا المستوى هي في أساس التوتّرات التي تهدّد السلام (الفقرة ٦).

والسلام القائم على المساواة يقتضي **احترام كرامة المرأة الشخصيّة** التي طبعها الخالق في كلّ كائن بشريّ. إنّ استغلال النساء ومعاملتهم معاملة أشياء وامتهان كرامتهنّ، تشكّل كلّها عوامل لعدم الاستقرار في

النظام الاجتماعيّ. فلا يمكن الكلام عن سلام حقيقيّ ما دام لا يزال قائمًا في بعض الثقافات نظريّات تجعل المرأة خاضعة لهوى الرجل، وما يتبع ذلك من نتائج تنال من كرامة الشخص ومن ممارسة الحريّات الأساسيّة ذاتها (الفقرة ٧).

٢. **الديموقراطيّة** هي إشراك المواطنين المباشر في الخيارات السياسيّة. ومن أجل هذه الغاية، تفترض في أساسها **مفهومًا سليمًا للشخص البشريّ** الذي هو مبدأ المؤسّسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، وهو هدفها وموضوعها (مجمع عقيدة الايمان: تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٣؛ الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٢٥).

للديموقراطيّة مبادئ متأصّلة في قيمة الشخص السامية، وفي المقتضيات الخلقيّة والموضوعيّة لحسن سير الدول. **هذه المبادئ هي:** الحقيقة التي تقوم عليها العلاقة بين الحكّام والمواطنين، الشفافيّة في الإدارة العامّة، عدم التحيّز في الخدمة العامّة، احترام حقوق الاخصام السياسيين، حماية حقوق المتّهمين بوجه محاكمات مختصرة، الاستعمال العادل والمخلص للأموال العامّة، رفض الوسائل المبهمة وغير الجائزة للاستيلاء، مهما كان الثمن، على السلطة، والاحتفاظ بها والتوسّع فيها (تألّق الحقيقة، ١٠١)،

وتقتضي الديموقراطيّة السليمة أن **تنطلق من كرامة الشخص البشريّ**، لكي تعزّز حقوق الناس أجمعين وحقوق كلّ فرد. فيجب أن ترتكز ممارسة السلطة السياسيّة على روح الخدمة، المقترنة بالكفاءة والفعاليّة، لكي يأتي عملها صافيًا وشريفًا. وهذا يتطلّب تصدّيًا معلنًا للإغراءات، من مثل اللجوء إلى المناورات الخسيسة والكذب واختلاس أموال

الدولة لصالح بعض الأشخاص، أو بهدف كسب الأنصار والوصول إلى السلطة والتمسّك بها على حساب الخير العامّ (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٤٢).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تبدأ الخطّة الراعويّة بالنظر في الفصل الأوّل من النصّ المجمعيّ المارونيّ التاسع عشر: **الكنيسة المارونيّة والسياسة**. يستعرض الفصل الأوّل **المسار التاريخيّ** للكنيسة المارونيّة في الحقل السياسيّ، فكانت لها خبرتها في جبل لبنان، وسط الأنظمة الإمبراطوريّة المتتالية: البيزنطيّة والعربيّة والمملوكيّة والعثمانيّة (الفقرات ٤-١٤). إنّها حقبة الإمبراطوريّة التي مرّت في ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى امتدّت من نهاية القرن السابع حتّى نهاية القرن الحادي عشر، زمن الإمبراطوريّة البيزنطيّة والفتح الإسلاميّ (فقرة ٨). تميّزت **بالانطواء على الذات**، والتكيّف مع طبيعة لبنان الوعرة، والاتّصال بروما والغرب في نهاية القرن السابع (٦٤١-٧٤٢). على أثر سقوط أنطاكية، بعد الفتح الإسلاميّ سنة ٦٣٦، انقطعت أنطاكية عن الصلة بالبطريركيّات الأخرى وبروما، ودخلت في مرحلة من الضياع والفوضى في بطريركيّتها، فانتخب الموارنة من دير مار مارون على العاصي قرب افامية، بطريركًا عليهم لسدّ فراغ قياديّ وحفظ الرعيّة من التشتّت والارتهان. ثمّ انتقلوا إلى جبال لبنان ووديانه، وأقاموا في أديرة يانوح وكفرحي وميفوق ثمّ قنّوبين، لأنّ الفاتح الإسلاميّ عبر السهول وترك الجبال وشأنها. في هذه المرحلة من الانكفاء، حافظ **الموارنة على هويّتهم وكيانهم**، وأصبحوا **شعبًا صلبًا موحّدًا، غيورًا على كيانه ودينه** (فقرة ٧ و٨).

المرحلة الثانية كانت **مرحلة الامتحان العسير** في عهد المماليك والمقدّمين على مدى قرنين. في هذه المرحلة تمّ اعتقال البطريرك لوقا البنهرانيّ وأسره في بلاد طرابلس، وتبيّن حرص الموارنة **على الحريّة والأصالة في الشأنين الدينيّ** والمدنيّ (فقرة ٨).

المرحلة الثالثة تمثّلت بحكم العثمانيين سحابة أربعة قرون. كانت مرحلة بناء الداخل اللبنانيّ وامتداد مساحته الجغرافيّة من شماله إلى جنوبه، حيث **تبلورت نواة فكرة لبنان الحديث التعدّديّ** المبنيّ على المصالح المشتركة، **لأنّ آل عساف** المسلمين السنّة الذين كانت قاعدة حكمهم في غزير، ابتداءً من سنة ١٥٠٦، حكموا بحسب النظام الاقطاعيّ المدنيّ، لا بحسب الشريعة الإسلاميّة، مكتفين بجمع الضرائب، وتاركين لرعاياهم حريّتهم الدينيّة. فتعاون الموارنة معهم في الحكم بواسطة آل حبيش منذ ١٥١٦ (فقرة ٩). ثمّ حكم **أمراء بني سيفا** بحسب الشريعة الإسلاميّة، لا بحسب العرف المدنيّ، وحموا الشواطىء. فانتقل الموارنة في اتّجاه المناطق الجنوبيّة، وشدّدوا اتّصالهم بروما والغرب بواسطة المرسلين الفرنسيسكان وسواهم من المؤسّسات المسيحيّة الموجودة في الأراضي المقدّسة (فقرة ٩ و١٠).

في عهد **الإمارتين المعنيّة والشهابيّة** (١٥٨٤-١٨٤٢)، قوي نفوذ الموارنة، وتميّزوا بمساهمتهم الفعليّة في **النهضة العربيّة**، بفضل تعاونهم مع المعنيّين وبخاصّة الأمير فخر الدين، بواسطة آل الخازن ثمّ آل أبي اللمع. كان فخر الدين يطمح إلى الاستقلال عن الإمبراطوريّة العثمانيّة، ويرغب في الانفتاح على الغرب. فسهّل الموارنة اتّصاله بروما وفلورنسا وباريس. وقوي هذا التعاون بين الموارنة والدروز وسائر أبناء الجبل، وتأصّلت فكرة لبنان التعدّديّ المبنيّ على المصالح المشتركة. وبفضل المدرسة المارونيّة

في روما سنة ١٥٨٤، كسر الموارنة طوق الجهل، وأحضروا المطبعة الأولى العربيّة بالحرف السريانيّ إلى دير مار أنطونيوس قزحيا، في شمال لبنان سنة ١٦١٠، وانطلقت شرارة النهضة العربيّة والانفتاح على الحضارة الغربيّة ونقلها إلى معاصريهم. وكان انسجام تامّ بين الكنيسة المارونيّة والإمارة اللبنانيّة من جهة، وبينها وبين الزعامة المارونيّة من آل حبيش والخازن وأبي اللمع، الشديدي الغيرة على مصلحة الكنيسة من جهة أخرى (فقرة ١٠ و١١).

امتدّت هذه المرحلة إلى عهد **القائمقاميّتين** وامتحانها القاسي بمأساة ١٨٦٠ وبداية الهجرة نحو الغرب (فقرة ١٢)، فإلى مرحلة **المتصرّفيّة** حيث نبذ الموارنة الأحقاد وعاودوا تعاونهم مع الدروز لانجاح تجربة العيش المشترك مع كلّ الطوائف. فتشكّلت **النواة السياسيّة والقانونيّة والجغرافيّة لدولة لبنان الكبير**، التي اكتملت ونضجت، بعد انهيار السلطنة العثمانيّة سنة ١٩١٨ (فقرة ١٣)، **بإعلان دولة لبنان الكبير** بحدوده الحاضرة في أوّل أيلول ١٩٢٠ (فقرة ١٤).

* * *

صلاة

تعالَ أيّها الروح الخالق لزيارة نفوس محبّيك. إملأ قلوب عبّادك نعمة من علُ: أنت المعزّي وعطيّة الربّ ذي الجلال، أنت الينبوع المُروي والنار المطهِّرة والمحبّة المشتعلة والمسحة الروحيّة. ضع نورك في عقولنا، وانشر محبّتك في قلوبنا، وأقم بقوّتك القديرة أجسادنا الواهنة.

إليك وإلى الآب الذي أرسلك، وإلى الابن الذي نفخك فينا، كلّ مجد وإكرام وشكر، إلى الأبد. آمين.

الأحد ١٠ حزيران ٢٠٠٧

الأحد الثالث من زمن العنصرة

غذاء حقيقة المحبّة ومواهب الروح القدس

إنجيل القدّيس يوحنّا ١٤/٢١-٢٦

قال الربّ يسوع لتلاميذه: «من كانت لديه وصاياي ويحفظها، هو الذي يحبّني. ومن يُحبّني يُحبّه أبي، وأنا أحبّه وأظهر له ذاتي». قال له يهوذا، لا ذاك الاسخريوطيّ: «يا ربّ، ماذا جرى حتّى تظهر ذاتك لنا، لا للعالم؟». أجاب يسوع وقال له: «من يُحبّني يحفظ كلمتي، وأبي يُحبّه وإليه نأتي، وعنده نجعل لنا منزلاً. من لا يحبّني لا يحفظ كلمتي. والكلمة التي تسمعونها ليست كلمتي، بل كلمة الآب الذي أرسلني. كلّمتكم بهذا، وأنا مُقيم عندكم. لكنّ البرقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، هو يُعلّمكم كلّ شيء، ويذكّركم بكلّ ما قلته لكم. السلام أستودعكم، سلامي أعطيكم. لا كما يعطيه العالم أنا أعطيكم. لا يضطرب قلبكم ولا يخف!».

* * *

بحلول الروح القدس، يوم العنصرة، سادت في الكنيسة شريعة المحبّة. الانسان يحبّ الله حافظًا وصاياه، والله يستقرّ فيه: الآب بمحبّته، والابن بنعمته، والروح القدس بمواهبه. إنّها شركة المحبّة العاموديّة، التي منها تنبثق شركة المحبّة الأفقيّة بين الناس. الكلمة الالهيّة، التي تتّخذ شكل وصايا، هي

التي تولّد المحبّة في قلب المؤمن، وهي التي تجمع قابليها ومحبّي يسوع المسيح. ما عدا ذلك، لا رابط صداقة وإخلاص بين الناس.

■ أوّلاً، مضمون الانجيل

١. شركة الحقيقة والمحبّة

تغتذي شركة المحبّة من سرّ القربان الذي هو **"سرّ المحبّة"**، كما يسمّيه القدّيس توما الأكويني (الخلاصة اللاهوتيّة، ٣ المسألة ٧٣، ٣). ففيه يهب يسوع المسيح ذاته مأكلاً ومشربًا يعطيان الحياة الالهيّة، ويكشف محبّة الله اللامتناهية لكلّ إنسان. هي محبّة قدّم بها يسوع حياته من أجل أحبّائه، مائتًا على الصليب لفدائهم (يو ١٥/١٣)؛ وأحبّهم حتّى النهاية (يو ١٣/١) مقدّمًا لهم جسده ودمه خبزًا سماويًّا لعدم الموت (الارشاد الرسوليّ: "سرّ المحبّة"، ١). هذه الحقائق كشف عنها الربّ يسوع بقوله في إنجيل اليوم: "من يحبّني يحفظ كلمتي، أنا أحبّه وأبي يحبّه وإليه نأتي وعنده نجعل منزلاً" (يو ١٤/٢١ و٢٣).

الله المحبّة الثالوثيّة يسكن في كيان الانسان، ويكون الروح بمواهبه السبع المعلّم والمعزّي الذي يعلّم حقيقة المحبّة التي تحرّر (يو ٨/٣٦) ويذكّر بها (أنظر يوحنّا ١٤/٢٦). إنّ الكنيسة التي تجد في سرّ القربان محورها الحيويّ تلتزم دونما انقطاع بالاعلان للجميع، في وقته وغير وقته، أنّ الله محبّة، وبما أنّ المسيح جعل نفسه غذاء الحقيقة، فالكنيسة تتوجّه إلى كلّ إنسان وتدعوه ليقبل بحرّية مسؤولة ومُحبّة عطيّة الله (سرّ المحبّة، ٢).

كلّ إنسان يتوق إلى الحقيقة وإلى الحريّة لكي يحيا بسعادة وطمأنينة يجد جوابًا عند المسيح الذي يجتذبه: "أنا هو الطريق والحقّ والحياة" (يو ١٤/٦)، "فإذا حرّركم الابن كنتم أحرارًا حقًّا" (يو ٨/٣٦). يسوع المسيح هو

النجم القطبيّ الذي يهدي حريّة الانسان لكي لا تضيع. فبدون معرفة الحقيقة، تفقد الحريّة طبيعتها وتنعزل وتصير مجرّد تعسّف عقيم (سرّ المحبّة، ٢).

٢. الروح القدس في حياة المؤمنين والكنيسة

"الروح القدس، البارقليط، يعلّمكم كلّ شيء ويذكّركم بكلّ ما أقوله لكم" (يو١٤ /٢٦).

ثلاث صفات تكشف عمل الروح القدس في المؤمنين والكنيسة: إنّه المعزّي والمعلّم والذاكرة. صفات تختصر مواهبه السبع:

الروح المعزّي يعطينا **القوّة** لمواجهة المحن والمعاكسات، الآتية من الداخل أو من الخارج. لا أحد منّا إلاّ ويختبر الرياح المعاكسة في حياته وأعماله ومسؤوليّاته. وحده روح **القوّة** يشجّعنا على الصمود والصبر والاحتمال، ويشدّد الرجاء بتجاوز المحنة.

الروح المعلّم يمنحنا **موهبة المشورة**، كلّ مرّة نتساءل عمّا يجب أن نفعل أو نقول؛ **وموهبة العلم** عندما نصمت ونتأمّل ونفكّر، باحثين عن حقيقة ما، وعن نور يقود معرفتنا؛ **وموهبة الحكمة** عندما تستدعي ظروف الحياة أن نتّخذ قرارًا أو موقفًا حاسمًا لقضيّة؛ **وموهبة الفهم** التي تعضد إيماننا، وتساعدنا في البحث عن جواب على تساؤلاتنا.

والروح الذاكرة يفيض علينا **موهبة التقوى** في لقائنا مع الله عبر الليتورجيّا وأفعال العبادة، بحيث نتذكّر أنّ الربّ هنا؛ **وموهبة مخافة الله** في علاقاتنا مع الناس، وفي تعاطينا شؤون العالم واستخدام خيراته، فنتمّمها وفقًا لمرضاة الله، مخافة الاساءة إليه وخسارة رضاه.

بفضل مواهب الروح القدس **نقبل** وصايا الله وكلام يسوع المسيح

ونحفظها. هذا القبول والحفظ دليل على محبّتنا للمسيح. فلنصغ مجدّدًا إلى كلام الربّ في إنجيل اليوم: "من يقبل وصاياي ويحفظها، فذاك يحبّني... ومن يحبّني يحفظ كلمتي" (يو ١٤/ ٢١ و٢٣). عندما نقبل وصايا الربّ وكلامه ونحفظها، هذا يعني أنّنا نحبّه، لأنّ "محبّة الله أفيضت في قلوبنا بالروح القدس" (روم ٥/ ٥). وبما أنّ الروح القدس هو رباط الحبّ بين الآب والابن، فإنّنا موضوع محبّة الثالوث: "من يحبّني، أنا أحبّه، وأبي يحبّه، وإليه نأتي، وعنده نجعل منزلاً" (يو ١٤/ ٢١ و٢٣).

بعمل الروح القدس **يصبح الانسان "سكنى الله"** (أفسس ٢/ ٢٢)، وتصبح الكنيسة، أورشليم الجديدة، مسكن الله، وفيها يصبح المؤمنون شعب الله، حسب رؤيا يوحنّا: "ورأيت المدينة المقدّسة، أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله... وسمعت صوتًا عظيمًا من السماء يقول: "هوذا مسكن الله مع الناس، يسكن معهم، هم يكونون له شعبًا، والله معهم يكون لهم إلهًا" (رؤيا ٢١/ ٣).

٣. وجوه أحيتها مواهب الروح القدس

الحكمة: "رأى الناس في سليمان الملك حكمة الله في إجراء الحكم" (١ ملوك ٣/ ١٦- ٢٨). عندما حضرت أمامه امرأتان تتنازعان الأمومة لطفل، فأمر سيّافًا بشطر الولد إلى اثنين، فصرخت واحدة: "أرجوك يا سيّدي. أعطوها الولد حيًّا ولا تقتلوه"، بينما الأخرى قالت: "لا، بل اشطروه". ففهم الملك أنّ الأولى أمّه، وقد تحرّكت أحشاؤها على ابنها، وأمر بإعطائها الولد.

القوّة: على الاحتمال والصبر تميّزت بها القدّيسة رفقا، رسولة الألم المشارك في آلام الفداء على مدى ٢٩ سنة وقد عميت وتفكّكت أوصال جسدها ما بين سنة ١٨٨٥ وسنة وفاتها ١٩١٤. هي أطلقت تكريم الجرح

السادس في كتف المسيح "الجرح المؤلم لأنّ عليه حمل يسوع صليب خطايانا الثقيلة". وكانت تنال تعزية خفيّة تظهر للعيان في بسمتها الدائمة وهدوئها. يسوع نفسه عندما كان يتألّم في بستان الزيتون "ظهر له ملاك من السماء يشدّده" (لو ٢٢/٤٣).

تقوى الله: موهبة تميّز بها القدّيس نعمة الله الحرديني. فكان يحتفل بقدّاسه كلّ يوم الساعة ١١.٠٠، ليقسم نهاره إلى اثنين: يكون القسم الأوّل استعدادًا للذبيحة الإلهيّة، والثاني فعل شكر. وكان يعترف بخطاياه كلّ يوم قبل أن يحتفل بذبيحة القدّاس. وهكذا عاش في محبّة الله والإخوة وجميع الناس، ساهرًا متيقّظًا على ألاّ يسيء إلى أحد أو يجرح أحدًا.

الفهم: أعطيت القدّيسة Paola Elizabetta Cerioli موهبة فهم عطيّة الأمومة الروحيّة، بعد أن فقدت زوجها وأولادها الأربعة وهي بعمر ٣٩ سنة، ثلاثة في أولى أشهر الطفولة، والرابع كارلو بعمر ١٥ سنة. في قلب الوجع والضياع واليأس، استطاعت بقوّة الايمان، على صدى صوت ابنها كارلو الذي قال لها وهو على فراش النزاع: "ماما، لا تبكي بسبب موتي، فالله سيعطيك أبناء آخرين كثيرين"، وبإرشادات مطرانها في Bergamo (إيطاليا)، أن تفهم سرّ آلام مريم العذراء، وأن تنفتح على فهم قيمة الأمومة الروحيّة، التي قدّمها لها الله بواسطة الروح القدس، مكافأة لها على تتلمذها الجديد للمسيح، وتحقيقًا لنبوءة ابنها كارلو. فكرّست نفسها لخدمة الأولاد الصغار والفقراء. وأسّست جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة للعناية بالبنات، وجمعيّة العائلة المقدّسة الرجاليّة للاعتناء بالصبيان.

المشورة: اتّصفت بها القدّيسة طبيبة الأطفال Gianna Beretta Molla، فاتّخذت قرار الزواج بالمهندس بيترو Molla. كانت تتساءل بالصلاة حول

دعوتها التي تعتبرها عطيّة من الله، وتطلب من إخوتها أن يصلّوا من أجلها لتقرّر: هل تذهب طبيبًا رسولاً إلى البرازيل حيث شقيقها الكاهن، وحيث أنشأ شقيقان آخران مستشفى، لتساعد العائلات الفقيرة، إذ كانت ملتزمة في خدمة الفقراء من خلال منظّمة العمل الكاثوليكيّ، وجمعيّة مار منصور دي بول، أم تذهب للرسالة إلى الهند حيث شقيقتها الراهبة Virginia؟

رافقت في حزيران ١٩٤٥ قطار مرضى في زيارة إلى سيّدة لورد، فطلبت من العذراء أن تلهمها على اختيار دعوتها: "الرسالة في البرازيل أم الزواج؟" سألت مرشدها الروحيّ، فقال لها: "أسّسي عائلة مسيحيّة. ثمّة حاجة عظيمة إلى أمّهات صالحات. فتزوّجي وأنجبي أولادًا يحبّون الله ويخدمونه". وهكذا فعلت.

مخافة الله: هي مرضاته وعدم الاساءة إليه بالانتصار على التجربة والخطيئة. بعد أن امتلأ يسوع من الروح القدس ساعة اعتماده على يد يوحنّا في نهر الأردن، سار به الروح إلى البريّة، حيث صام أربعين يومًا وجرّبه الشيطان. استطاع يسوع أن ينتصر على تجارب الشيطان الثلاث بالعودة الدائمة إلى كلام الله: "مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الانسان" (متّى ٤/٤)؛ "مكتوب أيضًا: لا تجرّب الربّ إلهك" (متّى ٤/٧)؛ "مكتوب: للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد" (متّى ٤/١٠). مخافة الله هي الحرص على عدم الاساءة إليه وخسارة مرضاته، بحفظ كلامه ووصاياه. كانت النتيجة أن فارقه الشيطان منهزمًا، وجاءت ملائكة تقوّيه وتخدمه (انظر متّى ٤/١١).

العلم: الذي يفتح الأذهان لمعرفة سرّ الله وإرادته، وينير الجماعة في قراراتها، أنار الرسل عند انتخاب مَتيّا الرسول خلفًا ليهوذا الاسخريوطيّ فصلّوا: "يا ربّ، أنت تعلم ما في قلوب الجميع، فأظهر من تختار من هذين

الاثنين، ليقبل نصيب الخدمة والرسالة التي تخلّى يهوذا عنها، وذهب إلى مكان هو مكانه". ثمّ ألقوا القرعة، فوقعت على متيّا. فعدّ من الاثني عشر (أعمال ١/٢٤-٢٦).

■ **ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة**

١. **ثقافة السلام**، كما كشفها قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته ليوم السلام العالميّ "**الشخص البشريّ قلب السلام**": (أوّل ك٢ ٢٠٠٧)، تشمل على السواء "**الاكولوجيا الطبيعيّة**" و"**الاكولوجيا البشريّة**": يعلّم الاختبار، يقول البابا، أنّ كلّ تصرّف لا يحترم البيئة الطبيعيّة، إنّما يؤذي العيش البشريّ المشترك، والعكس صحيح. هناك رباط لا ينفصم ينكشف دائمًا بين السلام مع الخليقة والسلام مع الله. إنّنا نجد في أنشودة القدّيس فرنسيس الأسّيزيّ "أختي الشمس"، النموذج الرائع لاكولوجيا السلام الكثيرة الألوان (فقرة ٨).

على مستوى الجمع بين الاكولوجيا الطبيعيّة والاكولوجيا البشريّة، يقتضي السلام ألاّ تحتكر الدول الصناعيّة الكبيرة **التزوّد بالطاقة**، وتحرم منها شعوبًا ودولاً أخرى. إنّ تدمير البيئة، وسوء استعمالها الأنانيّ، ووضع اليد قسرًا على موارد الأرض، يولّد جروحًا ونزاعات وحروبًا، لأنّها تمنع شعوبًا من إمكانيّة **النموّ البشريّ الشامل** بأبعاده الخلقيّة والروحيّة، وأبعاده العلميّة والاقتصاديّة. يظهر جليًّا من كلّ ذلك أنّ احترام الطبيعة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحاجة إلى نسج علاقات بين الناس والأمم، من شأنها أن تعير انتباهًا كبيرًا يعزّز كرامة الأشخاص ويسدّ حاجاتهم الأصليّة (فقرة ٩).

٢. **ثقافة الديموقراطيّة تقوم على مبادئ خلقيّة تشكّل الأساس للحياة**

الاجتماعيّة. فلا ديموقراطيّة في مجتمع تسود فيه تعدّديّة خلقيّة مع نسبيّة ثقافيّة، فإنّهما تنفيان وجود شريعة خلقيّة متأصّلة في طبيعة الكائن البشريّ نفسها، يحتكم إليها كلّ مفهوم للانسان والخير العامّ والدولة. إنّ التعدّديّة الخلقيّة تُسقط مبادئ الشريعة الأدبيّة الطبيعيّة (مجمع عقيدة الايمان، تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٢).

تنتفي الحياة الديموقراطيّة عندما يُعتمد النفوذ الانتخابيّ والتأثير الماليّ في المطالب، على حساب مقاييس العدالة والأخلاق. من مغبّة هذه الانحرافات في المسلكيّة السياسيّة خلقُ جوّ من الريبة واللامبالاة، وتخفيض نسبة المشاركة السياسيّة والحسّ الوطنيّ عند الشعب المتألّم من خيبته (السنة المئة، ٤٧)، لرؤيته المصالح الخاصّة والفئويّة تطغى على الصالح العامّ، بسبب انعدام الاحترام لكرامة الانسان وحقوقه (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٦).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الجماعات الراعويّة والرهبانيّة والتربويّة والاجتماعيّة تقبّلها للنصّ المجمعيّ المارونيّ التاسع عشر **"الكنيسة المارونيّة والسياسة"**، باستعراض القسم الثاني من المسار المارونيّ التاريخيّ في حقل السياسة.

تشمل الخطّة الراعويّة **الماضي القريب والمعاصر** من سنة ١٩٢٠ إلى سنوات حرب ١٩٧٥ (الفقرات ١٥-٢٧). إنّها **مرحلة إنجاز الاستقلال وإعلان الميثاق الوطنيّ سنة ١٩٤٣**،عبر بابين: البطريركيّة المارونيّة كمرجعيّة روحيّة وسياسيّة، وقيادات سياسيّة جديدة وتنظيمات حزبيّة (الفقرة ١٥ و١٦). يكشف النصّ المجمعيّ **جوهر الميثاق الوطنيّ**: وهو توافق اللبنانيين على صيغة للتلاقي تقوم على مشاركة حقيقيّة فيما بينهم على

أساس التوافق والمساواة والتوازن. **له بُعد داخليّ** معروف بصيغة المشاركة المتوازية في الحكم والادارة وفقًا للتمثيل الطائفيّ، **وبُعد خارجيّ** قائم على الاستقلال عن الانتداب الفرنسيّ يقابله الاعتراف العربيّ بكيان دولة لبنان المستقلّ (فقرة ١٧). إنّ الميثاق الوطنيّ ببعديه خيار حضاريّ، عنوانه **التعدّديّة** السياسيّة وإدارتها بالحوار والتسويات النبيلة باعتدال وواقعيّة. ولكن، في المقابل لم تتّخذ الدول العربيّة المجاورة، في استقلالها الخيار اللبنانيّ. بل حسمت أمر عروبتها إمّا بالشعارات الإيديولوجيّة وإمّا بالدين. فكان التجاذب بين الميثاق الوطنيّ اللبنانيّ ومواثيق وطنيّة عربيّة لا تتّفق مع الحالة اللبنانيّة. هذا ما جعل اللبنانيين غير قادرين إلى اليوم على استكمال بناء الدولة اللبنانيّة المستقرّة، القائمة على عمل المؤسّسات الدستوريّة، غير المرتهنة للمتغيّرات الاقليميّة والدوليّة، وغير المقيّدة بالتجاذب الطائفيّ، في إطار الحريّة والديموقراطيّة التوافقيّة (فقرة ١٩).

وهكذا كانت **مرحلة الانتكاسات الثلاث: أحداث العام ١٩٥٨** وهي انتكاسة فعليّة أولى للميثاق الوطنيّ واجهتها الشهابيّة بتكيّف واقعيّ ومعتدل لهذا الميثاق. ففعّلت مؤسّسات الدولة، وأطلقت مشاريع إصلاح وتنمية (فقرة ٢٠) ؛ **الحرب العربيّة-الإسرائيليّة عام ١٩٦٧**، وبروز المقاومة الفلسطينيّة المسلّحة، واتفاق القاهرة (١٩٦٩) الذي أتاح للمنظّمات الفلسطينيّة الدخول في مواجهات عسكريّة مع إسرائيل عبر الحدود اللبنانيّة-الإسرائيليّة، ووضع المخيّمات الفلسطينيّة تحت سيطرة المنظّمات الفلسطينيّة المسلّحة، ما حوّل لبنان إلى دولة مواجهة، وجعل جنوب لبنان ساحة الحرب الوحيدة للنزاع العربيّ-الإسرائيليّ (فقرة ٢١ و٢٢)؛ **إندلاع الحرب اللبنانيّة في ١٣ نيسان ١٩٧٥** التي برزت معها مسألة الاصلاح السياسيّ المعروفة بمسألة مشاركة المسلمين المتوازنة بالسلطة.

وهذا ما تمَّ في اتفاق الطائف ووثيقة الوفاق الوطنيّ سنة ١٩٨٩ (الفقرات ٢٣-٢٤).

ويستعرض النصّ انقسام الصفّ المارونيّ إلى موقفين حيال التغيير في هيكليّة السلطة: واحد معارض لأيّ تعديل في الدستور، وآخر متجاوب مع الواقع الراهن (فقرة ٢٥)، ومآسي سنوات الحرب التي دامت ١٥ سنة، وموقف الكنيسة منها، ومرارة الواقع المسيحيّ (فقرة ٢٧).

***

صلاة

هلمّ أيّها الروح القدس واملأ باطن قلوب محبّيك. يا موزّع المواهب السبع، نوّر بها عقولنا، شدّد إراداتنا، قوّم خياراتنا، إنعش قلوبنا بالمحبّة. يا قدرة يد الله، إهدِ الكنيسة وسط محن هذا العالم، وانصرها على قوى الشرّ، ومتّعها بالسلام. يا هبة الله في القلوب، صعّد منها صلاة الشكر والتسبيح والتمجيد إلى الآب الذي أرسلك، والابن الذي استحقّك بتجسّده والفداء، الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحد الرابع من زمن العنصرة

الأفخارستيّا ينبوع الشركة والرسالة

إنجيل القدّيس لوقا ١٠/٢١-٢٤

قال لوقا البشير: ابتهج يسوع بالروح القدس، فقال: «أعترف لك، يا أبتِ، ربّ السماء والأرض، لأنّك أخفيت هذه الأمور عن الحكماء والفهماء، وأظهرتها للأطفال. نعم، أيّها الآب، لأنّك هكذا ارتضيت. لقد سلّمني أبي كلّ شيء، فما من أحد يعرفُ من هو الابن إلاّ الآب، ولا من هو الآب إلاّ الابن، ومن يريد الابن أن يظهره له». ثمّ التفت إلى تلاميذه، وقال لهم على انفراد: «طوبى للعيون التي تنظر ما أنتم تنظرون! فإنّي أقول لكم: إنّ أنبياء وملوكًا كثيرين أرادوا أن يروا ما ترون فلم يروا، وأن يسمعوا ما تسمعون فلم يسمعوا».

***

يكشف كلام الربّ يسوع الشركة الحياتيّة بين الثالوث والمؤمنين المنفتحين "بروح الأطفال"، صغار الانجيل، لكلمة المسيح ونعمته. لهؤلاء يكشفها الآب، ويحجبها عن الممتلئين من حكمتهم الخاصّة وفهمهم الشخصيّ، والمكتفين بهما.

زمن العنصرة هو زمن رسالة الكنيسة التي تعلن سرّ المسيح، لكي ينكشف وجه الله ووجه الانسان لكلّ الشعوب، فيبلغ الجميع إلى الحقيقة

والخلاص بالمسيح. في سرّ الأفخارستيّا تتحقّق الشركة مع الله الثالوث القدّوس، ومنه تنطلق الرسالة المسيحيّة التي تعلن أن لا خلاص إلاّ بالمسيح الذي يملأ رغائب الانسان، وبدونه ثروة الدنيا سراب: "أنبياء كثيرون وملوك اشتهوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا" (لو ١٠/ ٢٤).

■ أوّلاً، الأفخارستيّا ينبوع حياة الكنيسة ورسالتها

لا بدّ من **تذكير المسيحيين** بقيمة القدّاس الإلهيّ، الذي تقود إليه كلّ صلاة ومنه تنبع؛ فلا تكفي الصلاة في البيت إذا لم تصل بالمؤمن إلى الشركة الحياتيّة مع الله في القدّاس، هذا السرّ الذي أسّسه الربّ يسوع، ليلة آلامه وموته، من أجل استمراريّة ذبيحة الفداء عن خطايا كلّ إنسان، واستمراريّة وليمة جسده ودمه للحياة الالهيّة فينا، من فيض محبّة الآب وفعل الروح القدس في الأسرار. بل أقول، في زمن ابتعاد الكثيرين من المسيحيين عن قدّاس يوم الأحد، لا بدّ من **مصالحتهم مع سرّ الأفخارستيّا**. بسبب هذه القطيعة انكسرت العلاقة الحياتيّة مع الله، وكثر الفساد وتبخّرت الرسالة، وباتت الممارسة الدينيّة، عند الكثيرين، مجرّد عمل اجتماعيّ، خالٍ من أيّ مضمون روحيّ وخلقيّ. كما أنّ الكثيرين يظنّون أنّ الرسالة المسيحيّة تقتصر على تعزيز الانماء البشريّ دونما اعتبار للنموّ الروحيّ والخلقيّ على قياس المسيح (أنظر الارشاد الرسوليّ للبابا بندكتوس السادس عشر: "سرّ المحبّة"، ٨٦).

إنّ **سرّ القدّاس يحتوي كلّ الخيرات الروحيّة** أعني المسيح نفسه، الخبز الحيّ، الّذي يعطي الحياة للبشر بجسده الحيّ والمحيي بالروح القدس، ويدعوهم ليقدّموا ذواتهم وأعمالهم وكلّ شؤونهم الماديّة بالاتّحاد معه (القرار المجمعيّ "في خدمة الكهنة وحياتهم"، ٥).

الكنيسة مؤتمنة على هذا الكنز الروحيّ، "وهي في المسيح، نوعًا ما، بمثابة السرّ (sacrement)، أي العلامة والأداة للاتّحاد العميق بالله ولوحدة الجنس البشريّ" (الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ١). هذا هو جوهر رسالتها ونشاطاتها الاجتماعيّة والثقافيّة والإنمائيّة والروحيّة والكنسيّة، يقول القدّيس قبريانوس، "شعب يأخذ وحدته من وحدة الآب والابن والروح القدس". وهي بالتالي سرّ (أداة وعلامة) الشركة الثالوثيّة (سرّ المحبة، ١٦)، بواسطة الأسرار السبعة التي توزّعها، عبر الخدمة الكهنوتيّة، فتؤثر عمليًّا نعمة الله في حياة المؤمنين، وتجعل حياتهم، المفتداة بالمسيح، عبادة حيّة لله (المرجع نفسه).

إنّ نشأة الحياة المسيحيّة **تبدأ في المعموديّة**، الولادة الثانية أبناءً وبناتٍ لله، **وتتقوّى بالميرون**، هبة الروح القدس ومواهبه، **وتغتذي وتكتمل بالقربان**، الحياة الإلهيّة فينا. المشاركة في سرّ الأفخارستيّا، وهو القدّاس الإلهيّ، تكمّل فعليًّا مفاعيل المعموديّة أي الانخراط عضويًّا في جسد المسيح الواحد، الذي هو الكنيسة (١ كور ١٢/١٣) وشعب كهنوتيّ؛ وتكمّل مواهب الروح المعطاة لبنيان جسد المسيح (١ كور ١٢)، ولشهادة إنجيليّة أكبر في العالم (القرار المجمعيّ في نشاط الكنيسة الرساليّ، ٩ و١٣).

هي "**نشأة**" من حيث الكيان المسيحيّ، وهي "**تنشئة**" من حيث تثقيف الايمان بشكل دائم يتلازم مع النموّ في السنّ. لكنّ نشأة الحياة المسيحيّة وتنشئتها هما طريق ارتداد إلى الله، نسلكه بهدي الروح القدس، وبالعلاقة الدائمة مع الجماعة الكنسيّة، وبراعويّة العائلة المسيحيّة التي تعضدها الرعيّة في مهمّتها التربويّة، لتواكب أبناءها في تقبّل أسرار المعموديّة والميرون والقربان، بوعي وفاعليّة (سرّ المحبّة، ١٩).

■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. **العالم والأوطان بحاجة إلى سلام.** لكنّ السلام عطيّة من الله، مركزها قلب الشخص البشريّ، كما جاء في موضوع رسالة البابا بندكتوس السادس عشر ليوم السلام العالميّ (أوّل ك٢ ٢٠٠٧)، وعنوانها: "**الشخص البشريّ، قلب السلام**".

تكشف الرسالة البابويّة أنّ **السلام يتعزّز بمقدار المفهوم المعطى للشخص البشريّ**، إنطلاقًا من طبيعة الانسان الحقيقيّة. فأيّ مفهوم ضعيف عنه أو شاذّ، إنّما يفسح في المجال لمواقف تسلّط، تقود إلى عزل الانسان عن حقّ الدفاع عن النفس، وتجعل منه فريسة سهلة للقمع والعنف (فقرة ١١).

يقتضي السلام تحرير الشخص البشريّ من الأحكام المسبقة والإيديولوجيّات التي تحرّض على البغض والعنف. معروف أنّ النظرة إلى الانسان تختلف باختلاف الثقافات. وصحيح أيضًا أنّ مفهومًا خاطئًا عن الله يؤدّي إلى مفهوم خاطئ للانسان. يؤكّد قداسة البابا بحزم:

"**إنّ المفاهيم عن الله التي تحضّ على التصلّب واللجوء إلى العنف تجاه أمثالنا من البشر، يستحيل التسليم بها.** وهذه نقطة يجب التذكير بها بوضوح: **إنّ حربًا تُشنّ باسم الله يستحيل قبولها. وعندما يكون ثمّة مفهوم عن الله في أساس ممارسات إجراميّة، فهذه علامة أنّ مثل هذا المفهوم قد تحوّل نظامًا عقائديًّا**" (فقرة ١٠).

٢. **العالم والأوطان بحاجة أيضًا إلى ديموقراطيّة سليمة** تقود إلى حقيقة أخيرة من شأنها أن توجّه العمل السياسيّ والأفكار والقناعات. وإلاّ استُغلت كلّها لمصلحة أصحاب السلطة. إنّ ديموقراطيّة من دون قيم

تتحوّل بسهولة إلى توتاليتاريّة معلنة أو متسترّة، كما يتبيّن من التاريخ (تألّق الحقيقة، ١٠١).

الديموقراطيّة تتنافى والتعدّديّة الخلقيّة (éthique pluralisme). فنجد، من جهة، أنّ المواطنين يطالبون، من أجل خياراتهم الخلقيّة الخاصّة، بأوسع استقلاليّة؛ ومن جهة ثانية، أنّ المشرّعين، احترامًا منهم لحريّة الخيار، يسنّون قوانين بمعزل عن مبادئ الأخلاقيّة الطبيعيّة (مجمع عقيدة الايمان: تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٢).

عندما يغيب مفهوم الله، تتلاشى مبادىء الأخلاقيّة الطبيعيّة، ويمسي مفهوم الانسان مهدّدًا ومفسودًا، وتظلم الخليقة، ويصبح الانسان بمثابة "شيء" من الأشياء، وتنحطّ ميزته الراقية وسموّ وجوده كإنسان، ولا يعود يعتبر الحياة هديّة سنيّة من يد الله، وحقيقة "مقدّسة" موكولة إلى مسؤوليّته، وبالتالي إلى حمايته ومحبّته وإجلاله (إنجيل الحياة، ٢٢). الديموقراطيّة السليمة هي التي تُبنى على هذه النظرة للانسان.

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

بعد المسار التاريخيّ الذي سلكته الكنيسة المارونيّة على المستوى السياسيّ، تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ التاسع عشر: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وتحديدًا الفصل الثاني منه الذي يصوّر الحاضر في مرحلة ما بعد حرب ١٩٧٥ واتّفاق الطائف (سنة ١٩٨٩).

إنّه الحاضر اللبنانيّ عامّة والمارونيّ خاصّة في واقعه الدستوريّ الموصوف في مقدّمة وثيقة الوفاق الوطنيّ التي أدرجت في مقدّمة الدستور المعدّل سنة ١٩٩٠. **تظهر فيها طبيعة العقد الاجتماعيّ بين اللبنانيين**، وفي أساسه أنْ "لا شرعيّة لأيّ سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك"؛

وتتوضّح **ماهيّة النظام اللبنانيّ**: إنّ لبنان واحد موحّد، سيّد حرّ مستقلّ، نهائيّ لجميع أبنائه على كامل أراضيه، عربيّ الهويّة والانتماء، ملتزم بالاعلان العالميّ لحقوق الانسان، بكونه عضوًا مؤسّسًا في جامعة الدول العربيّة وفي منظّمة الأمم المتحدة؛ وأنّ نظام لبنان جمهوريّ ديموقراطيّ برلمانيّ، قائم على احترام الحريّات العامّة، لاسيّما حريّة المعتقد، وعلى العدالة والمساواة، وعلى مبدأ الفصل بين السلطات، التي مصدرها الشعب (فقرة ٢٩).

لقد حُورّ مضمون هذه الوثيقة على يد سلطة الوصاية السوريّة، ما أفرغ الدولة من قرارها، والحياة السياسيّة من ممارستها. فكانت خطّة استهداف مبرمجة طاولت كلاًّ من السياسة والأمن والديموغرافيّة والاعلام والديموقراطيّة القائمة على المساءلة والمحاسبة (فقرة ٣٠).

ويستعرض النصّ **موقف الكنيسة المارونيّة حيال هذا الواقع الراهن**، الداعي إلى المحافظة على هويّة لبنان ورسالته باستعادة سيادته وقراره الحرّ وسلامة أراضيه واستقلاله الناجز، وقد عبّرت عنه في مذكّرة ١٦ آذار ١٩٩٨ إلى رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري، وفيها الدعوة إلى تحقيق الوفاق الوطنيّ بتطبيق وثيقة اتّفاق الطائف نصًّا وروحًا؛ وفي نداء ٢٠ أيلول ٢٠٠٠، إثر تحرير الجنوب والبقاع الغربيّ من الاحتلال الإسرائيليّ في ٢٣ أيّار ٢٠٠٠، الذي طالب بإنهاء سلطة الوصاية السوريّة على لبنان وقد أصبح في حالة احتضار (فقرة ٣١ و٣٢). وينتهي تصوير الواقع الحاضر مع انتفاضة الاستقلال في ١٤ آذار ٢٠٠٥، إثر استشهاد الرئيس رفيق الحريري في ١٤ شباط ٢٠٠٥، وهي انتفاضة أخرجت الجيش السوريّ من لبنان في ٢٦ نيسان ٢٠٠٥، بعد ثلاثين سنة من سلطة الوصاية، تتويجًا لنضال الشعب اللبنانيّ المقيم والمنتشر، وتوحّده. فإذا بالحلم يتحوّل إلى حقيقة (فقرة ٣٣).

إنّ للحاضر الراهن همًّا ثلاثيًّا مشتركًا للّبنانيين، مسيحيين ومسلمين:

١. استكمال بناء الدولة المدنيّة الحديثة.

٢. إعادة بناء علاقات طبيعيّة مع سورية على قاعدة التكافؤ والمساواة والمصالح المشتركة.

٣. تطبيع العلاقات بين الدولة اللبنانيّة والسلطة الفلسطينيّة (فقرة ٣٤).

ومن أهمّ التحدّيات على المستوى السياسيّ، ثلاثة أيضًا:

أ. المحافظة على الهويّة المارونيّة في لبنان وبلدان الانتشار.

ب. تعزيز الحوار المسيحيّ-الإسلاميّ في عالم من الانقسامات.

ج. دعم التضامن مع العالم العربيّ لدحض مقولة صراع الحضارات التي تضع الإسلام والمسيحيّة في مواجهة بعضهما لبعض (فقرة ٣٤).

***

صلاة

هلّم أيّها الروح القدس وافتح قلوبنا على نفحة الله، لتستقرّ حياته الإلهيّة في نفوسنا، فنكونَ شعبًا واحدًا مولودًا من المعموديّة. إليك، أيّها الروح القدّوس، نفتح أجسادنا، لألسنتك الناريّة التي حلّت على الرسل القدّيسين في العلّية، فأشعل بها قلوبنا لتحيا من مواهبك، وتعلن سرّ مجدنا. إرفع جباهنا الموسومة بميرون قدسك، واجعلنا شعب الحقيقة والمحبّة، نشهد لهما في حياتنا كلّ يوم وفي كلّ ظروفنا. إليك، يا ضيفنا السماويّ، نفتح عيوننا الداخليّة لتستنير بصيرتنا بنورك الهادي، لك المجد والشكر والتسبيح مع الآب والابن إلى الأبد، آمين.

الأحد ٢٤ حزيران ٢٠٠٧

الأحـد الخـامس من زمن العنصرة

الرسل والكنيسة

إنجيل القدّيس متّى١٠/١-٨

دعا يسوع تلاميذه الاثني عشر، فأعطاهم سلطانًا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الشعب من كلّ مرض وكلّ علّة. وهذه أسماء الرسل الاثني عشر: الأوّل سمعان الذي يدعى بطرس، وأندراوس أخوه، ويعقوب بن زبدى، ويوحنّا أخوه، وفيليبّس وبرتلماوس، وتوما ومتّى العشّار، ويعقوب بن حلفى وتدّاوس، وسمعان الغيور، ويهوذا الاسخريوطيّ الذي أسلم يسوع. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وقد أوصاهم قائلاً: «لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيين، ولا تدخلوا مدينة للسامريين، بل اذهبوا بالحريّ إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل. وفيما أنتم ذاهبون، نادوا قائلين: لقد اقترب ملكوت السماوات».

***

زمن الكنيسة، المرموز إليه بزمن العنصرة، هو زمن الرسالة الموكولة إليها من السيّد المسيح بشخص الرسل الاثني عشر. وهؤلاء سلّموها بدورهم إلى خلفائهم الأساقفة ومعاونيهم الكهنة والشمامسة والمكرّسين والمكرّسات. إنّها رسالة الشعب المسيحيّ بأسره، ليقوم بها حيثما دعاه الله ليكون، وهي: تحرير النفوس من الأرواح الشرّيرة والعبوديّات، وشفاء الأجساد من الأمراض والآفات، وبناء ملكوت الله في المجتمع البشريّ. إنّها

تتلوّن بالنشاطات الروحيّة والإنمائيّة، الثقافيّة والاجتماعيّة، الاقتصاديّة والسياسيّة، وتشمل كلّ الأوضاع التي تؤمّن الخير العامّ، الذي منه خير كلّ إنسان وكلّ الانسان.

■ أوّلاً، مضمون الانجيل

١. من هم الرسل؟

هم الاثنا عشر الذين اختارهم يسوع من جماعة المؤمنين به، الذين تبعوه وتتلمذوا له: "دعاهم وأرسلهم ليكرزوا بالانجيل وينادوا بالتوبة لمغفرة الخطايا" (متّى ١٠/١ و٧؛ مر ٦/١٢؛ لو ٩/١-٢). إنّهم معاونوه الذين اختارهم ليبنوا ملكوت الله بالتلمذة والتقديس والتدبير (أنظر متّى ٢٨/١٦-٢٠؛ مر ١٥-١٥؛ لو ٢٤/٤٥- ٤٨؛ يو ٢٠ /٢١- ٢٣). وهكذا ينشرون الكنيسة، التي هي زرع الملكوت وبدايته في أبعاده الثلاثة: **السرّ** وهو الانتماء إليه بالكلمة ونعمة المعموديّة والأسرار؛ **والشركة** التي هي الاتحاد بالله عاموديًّا، والوحدة مع الناس أفقيًّا؛ **والرسالة** الرامية إلى تحقيق تصميم الله الخلاصيّ. ويكونون في الكنيسة خدّامًا ورعاة، هم وخلفاؤهم، طول الأيّام إلى انتهاء العالم (متّى ٢٨/٢٠).

هؤلاء الاثنا عشر نظّمهم الربّ يسوع في هيئة تتّصف بالجماعيّة (collegialité)، وأقام رئيسًا عليهم سمعان بطرس الذي اختاره من بينهم لما اتّصف به من إيمان بالمسيح وحبّ له (أنظر متّى ١٦/١٦-١٩؛ يو ٢١/١٥-١٧). ينتمي إلى هذه الهيئة جميع الأساقفة المستقيمي الايمان، ويرئسها أسقف روما خليفة بطرس. وتعمل بتنظيم قانونيّ سينودسيّ (synodalité)، وبروح مجمعيّ (conciliarité).

أراد الربّ يسوع ١٢ رسولاً **للدلالة** على أنّ الكنيسة هي شعب الله

الجديد، الذي حلّ محلّ الشعب القديم باسباطه (قبائله) الاثني عشر. لقد شاء الله أن يخلّص جميع الناس ويقدّسهم، لا إفراديًّا فقط من دون أيّ رباط فيما بينهم، بل جماعيًّا أيضًا، فجعل منهم شعبًا يعرفه بالحقّ ويخدمه بأمانة. وكان أوّل من دعاهم ليكونوا شعبه ابراهيم الخليل، وأقام الله عهدًا مع شعبه في سيناء على يد موسى : "إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون خاصّتي من بين جميع الشعوب، لأنّ الأرض كلّها لي وأنتم تكونون لي مملكة من الكهنة وأمّة مقدّسة" (خروج ١٩/٥- ٦). وأصبح يعقوب حفيد ابراهيم، الأصل الجامع لهذا الشعب، وقد أطلق الله عليه اسم "إسرائيل" (تكوين ٢٩/٣٢). هذا الاسم الشخصيّ أعطي فيما بعد لشعب الله، وريث المواعيد المسيحانيّة (غلا ٦ /١٦).

أسّس السيّد المسيح الكنيسة، **شعب الله الجديد**، وجعل الرسل الاثني عشر خدّامًا لكلمته ونعمته ومحبّته، معلّمين وكهنة ورعاة (أنظر الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ٩). هذا الشعب المسيحانيّ يتميّز بأربعة أوصاف: **رأسه** المسيح، الذي مات لفدائه وقام لتبريره؛ **حالته** كرامة وحريّة أبناء الله، الذين يسكن الروح القدس في قلوبهم، كما في هيكل؛ **شريعته** وصيّة المحبّة الجديدة على مثال محبّة المسيح (يو ١٣/ ٣٤)؛ **غايته الأخيرة** ولوج ملكوت الله الذي بدأه الله على هذه الأرض، ويكتمل في السماء في نهاية الأزمنة. هذا الشعب الجديد، يشكّل للبشريّة بأسرها زرع الوحدة والرجاء والخلاص، وشركة حياة وحبّ وحقّ، وأداة فداء للجميع، ونورًا للعالم وملحًا للأرض (أنظر متّى ٥/١٣-١٦)، إنّه مرسل إلى العالم كلّه (أنظر الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ٩).

٢. لفظة إسرائيل البيبليّة واللفظة الصهيونيّة

"إنطلقوا إلى الخراف التي ضلّت من بيت إسرائيل" (متّى ١٠/٦).

هذا الإرسال بكلمة "إنطلقوا" يواصله المسيح في ختام قدّاس كلّ يوم على لسان الكاهن: "اذهبوا". إنّ لفظة "**قدّاس**" باللاتينيّة missa تشتقّ من missio أي الارسال. الأفخارستيّا مصدر الأرسال.

في الكتاب المقدّس، لفظة "إسرائيل" تعني شعب الله المتحدّر من ابراهيم، والموجّهة إليه الرسالة المسيحانيّة؛ **وفي تعليم بولس الرسول** تعني الكنيسة ويسمّيها "إسرائيل الله" (غلاطية ٦/١٦)، ويميّز بين إسرائيل الذي في الروح وهو الكنيسة، وإسرائيل الذي في الجسد وهم اليهود (١ كورنتس ١٠/١٨)؛ السيّد المسيح نفسه يُسمّى "إسرائيل"، من حيث أنّه، مثل يعقوب، رأس شعب المفتدين: "أنت عبدي يا إسرائيل، فأنّي بك أتمجّد" (أشعيا ٤٩/٣).

الرسل الاثنا عشر يدلّون إذن بعددهم الرمزيّ إلى أسباط إسرائيل الاثني عشر، لأنّهم أساسات إسرائيل الجديد، أي الكنيسة. هكذا ينبئهم الربّ يسوع عندما سأله سمعان بطرس: "ها نحن قد تركنا كلّ شيء وتبعناك. فما عساه يكون لنا؟" إذ أجاب: "الحقّ أقول لكم: أنتم الذين تبعتموني، حين يجلس ابن الانسان على عرش مجده في العالم الجديد، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًّا وتدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متّى ١٩/٢٧-٢٨).

أساء التلاميذ فهم ذلك. وارتجى الشعب مسيحًا ملكًا يخلّص الشعب اليهوديّ من الحكم الرومانيّ الوثنيّ المحتلّ لأرضهم أرض يهوه، كما قال تلميذا عمّاوس ليسوع ولم يعرفاه: "أفلا تعلم ما جرى في هذه الأيّام... ما يتعلّق بيسوع الذي من الناصرة، والذي كان نبيًّا قديرًا قولاً وفعلاً، أمام الله

وجميع الشعب. فأسلمه عظماء الكتبة والشيوخ لحكم الموت وصلبوه. ونحن كنّا نرجو أن يكون هو المزمع أن يخلّص اسرائيل" (لو ٢٤/١٨-٢١). على هذا الأساس استقبله الشعب في أورشليم: "هوشعنا، مبارك الآتي باسم الربّ، ملك إسرائيل" (يو ١٢/١٣). وإلى اللحظة الأخيرة، ظلّ هذا الاعتقاد سائدًا عند الرسل، فسألوه قبيل صعوده إلى السماء بلحظات: "يا ربّ، أفي هذا الزمن تعيد الملك إلى إسرائيل؟" عندها أعلن لهم سرّ مملكته ومكانهم فيها: "حين يأتيكم الروح القدس، تنالون القوّة، وتكونون لي شهودًا في أورشليم، وفي جميع اليهوديّة والسامرة، إلى أقاصي الأرض" (أعمال ١/٦و٨). طالب اليهود بصلب يسوع لأنّهم اعتبروه "ملك اليهود" الجديد، واضطهدوا أتباعه، فاستشهد إسطفانوس رجمًا (أعمال ٧/٥٤-٦٠)، ويعقوب الرسول أخو يوحنّا بقطع الرأس. وكان اضطهاد كنيسة الله في أورشليم وعلى رأس مضطهديها شاول اليهوديّ، الذي أصبح بولس رسول يسوع المسيح (أعمال ٨).

في الجيل التاسع عشر نشأت **الحركة الصهيونيّة**، وكان رائدها تيودور هيرسل (Théodor Herzel) الكاتب اليهوديّ المجريّ (١٨٦٠-١٩٠٤)، كردّة فعل على التيّار القائم ضدّ الساميّة، والغاية منها العودة إلى أرض إسرائيل وإنشاء دولة يهوديّة. على هذا الأساس كان وعد بلفور (Balfour) سنة ١٩١٧ بإنشاء ما سمّي أوّلاً **"وطن قوميّ يهوديّ في فلسطين"**. كان أرثر جيمس بلفور يومها وزير خارجيّة بريطانيا (١٩١٦-١٩١٩). عمل الانتداب الإنكليزيّ في فلسطين على إطلاق يد الحركة الصهيونيّة في اجتياح المنطقة، تحت رعاية الحاكم اليهوديّ هربرت صموئيل، وقد بدت معادية للكنيسة الكاثوليكيّة، كما وصفها بطريرك أورشليم المطران Barlessina في محاضرة ألقاها في روما في ١١ أيّار ١٩٢١. ولهذا أبدى

البابا بندكتوس الخامس عشر قلقه، في ١٣ أيّار ١٩٢١: "نشعر بقلق وخيبة، وقد عمد الإسرائيليّون إلى إقامة وضع مميّز ومتفوّق لهم في فلسطين. إنّ حال المسيحيين في فلسطين قد ازدادت سوءًا، بسبب الأنظمة المدنيّة هناك، والتي تهدف إلى إبعاد المسيحيّة عن المواقع التي كانت تشغلها حتّى الآن لتُحلّ مكانها اليهود" (خطاب إلى مجمع الكرادلة). وسبق للبابا نفسه أن نبّه في ١١ آذار ١٩١٩ إلى ما يجري: "يقلقنا بنوع خاصّ مصير الأماكن المقدّسة، إذ يُعهد بالمعابد المقدّسة الخاصّة بالمسيحيين إلى سواهم".

وتطوّر "الوطن القوميّ اليهوديّ في فلسطين" حتّى أصبح **دولة إسرائيل** بالقرار ١٨١ لمنظّمة الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، والذي قسّم فلسطين إلى دولتين. وفي ١٤ أيّار ١٩٤٨ أعلنت نهاية الانتداب البريطانيّ، الساعة السادسة مساء. وبعد دقيقة، أعلن بن غوريون في الكنيست ولادة دولة إسرائيل التي اعترفت بها فورًا الولايات المتحدة الأميركيّة والاتحاد السوفياتيّ. وحالاً كانت هجرة ٤٠٠,٠٠٠ عربيّ من بيوتهم، فيما كان استقرّ في القدس ١٠٠,٠٠٠ إسرائيليّ. وهكذا بدأ سنة ١٩٤٩ الصراع العربيّ-الإسرائيليّ، والفلسطينيّ-الإسرائيليّ بمحطّاته الكبيرة: حرب حزيران سنة ١٩٦٧، وحرب تشرين سنة ١٩٧٣. فكان أن دفع لبنان ثمن هذا الصراع بالحروب التي بدأت سنة ١٩٧٥، كما دفع وما زال ثمن مفاوضات السلام العربيّة-الإسرائيليّة والفلسطينيّة-الإسرائيليّة التي تتعثّر سنة بعد سنة، ويتفاقم النزاع.

في ٣٠ كانون الأوّل ١٩٩٣، وُقّع في القدس **الاتفاق الفاتيكانيّ الإسرائيليّ**، وعنوانه: "اتفاق حول بعض المبادئ الأساسيّة التي تنظّم العلاقات بين الكرسيّ الرسوليّ ودولة إسرائيل". يعتبر الكرسيّ الرسوليّ

هذا الاتفاق مرحلة مهمّة في التزامه التاريخيّ الطويل في حماية حقوق الكنيسة وحريّاتها في الأرض المقدّسة، ومساهمة في دعم إرادة حوار أفضل، وصداقة أعمق، وتعاون أكبر بين الكاثوليك ويهود إسرائيل والعالم، ومساهمة أيضًا في تعزيز التقدّم على مسار السلام الجاري في منطقة الشرق الأوسط. أساس هذا الاتفاق الرسالة الروحيّة والأدبيّة الخاصّة بالكرسيّ الرسوليّ، الذي يظلّ خارج أيّ صراع أو نزاع زمنيّ بحت. غير أنّه لا يستطيع أن يتخلّى عن رسالته المميّزة ولا عن حقّه في الإدلاء بحكمه على البعد الأدبيّ الذي يتّصل بسائر المعضلات.

■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

لن تخرج المجتمعات البشريّة هنا وهناك من أزماتها السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، ما لم تحتلّ التربية على السلام والديموقراطيّة مكانها الأوّل. هذا ما تسعى له **اللجنة الأسقفيّة لراعويّة السلام والديموقراطيّة**، وما درجنا على نقله في التنشئة المسيحيّة لزمن العنصرة.

١. **يقوم السلام العادل والدائم على احترام حقوق الانسان.** هكذا تؤكّد رسالة البابا بندكتوس السادس عشر ليوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧). وهذه الحقوق تقوم على مفهوم صحيح وكامل للشخص البشريّ. فإذا ضعف مفهومه ضعفت حقوقه. من المؤسف حقًّا أن تخضع الحقوق، التي تُعلن بصفة المطلق، لمفهوم نسبيّ للشخص البشريّ. هل يقوم المطلق على أساس نسبيّ؟ وبأيّ حقّ ترفض الحقوق أو توضع جانبًا من أحد، عندما تكون مقتضياتها "مزعجة" له ولمصالحه الخاصّة؟

السلام يتحقّق فقط عندما يُعطى كلّ إنسان حقوقه، دونما خوف من نكرانها، وعندما تُعتبر متأصّلة في مقتضيات طبيعته المعطاة له من

الخالق. ومن المعلوم أيضًا، **لكي يكتمل بناء السلام**، أن تقتضي حقوق الانسان واجبات منه بالمقابل. فيما يعطى حقوقه، يؤدّي هو ما عليه من واجبات. إذا كانت هذه المبادئ واضحة، يمكن عندئذٍ الدفاع عن حقوق الشخص البشريّ وحمايتها من الاعتداءات المتواصلة عليها.

وثمّة **التباس** يظهر في استعمال لفظة "**الحقوق البشريّة**"، لأنّه ينطوي على نوايا غامضة تميّز بين الأشخاص: بالنسبة إلى البعض، الشخص البشريّ هنا مطبوع بكرامة ثابتة ويعطى دائمًا وأينما كان كلّ حقوقه، وبالنسبة إلى غيرهم، يكون الشخص البشريّ ذا كرامة متغيّرة وحقوق متنازع عليها في مضمونها وزمنها ومكانها (الرسالة، فقرة ١٢).

هذا هو أساس النزاعات التي تقوّض السلام الاجتماعيّ.

٢. **الديموقراطيّة**، من جهتها، تنطلق هي أيضًا من كرامة الشخص البشريّ المتأصّلة في احترام الحياة البشريّة، بدءًا من اللحظة الأولى للحبل بها، وتحمي هذه الكرامة. ولكي تفعل الديموقراطيّة ذلك، ينبغي أن تتّصف بالخلقيّة.

لذا، تدعو الكنيسة **البرلمانيين المسيحيين** لاستعمال حقّهم وواجبهم في التدخّل من أجل حماية المفهوم العميق للحياة، وتحمّل مسؤوليّتها المشتركة. فاعتبرت بلسان خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني أنّ على المسؤولين عن التشريع "واجبًا نفيسًا يلزمهم بالاعتراض" بوجه كلّ شريعة تؤدّي إلى اغتيال الحياة البشريّة، وأن من غير الممكن أن يشاركوا في حملات إعلاميّة لصالح شرائع من هذا النوع، ولا يُسمح لأحد أن يساندها بصوته الشخصيّ (إنجيل الحياة، ٧٣).

وبالمقابل، إذا تعذّر على عضوٍ في البرلمان أن يتجنّب أو أن يُلغي تمامًا

قانونًا يجيز الإجهاض، فيسوّغ له، في حال اعتلان معارضته الشخصيّة المطلقة على الإجهاض، وشيوعها عند الجميع، أن يدلي بدعمه لمقترحات تهدف إلى الحدّ من أضرار مثل هذا القانون، والتخفيف من مفاعيله السلبيّة على صعيد الثقافة والأخلاق العامّة. فإذا تصرّف هكذا، لا يقوم بمساهمة لا شرعيّة في قانون ظالم، بل يضطلع بمسعى شرعيّ وبواجب يؤول إلى الحدّ من مفاعليه الجائرة. (إنجيل الحياة، ٧٣)

في هذا الإطار، لا بدّ من الاضافة أنّ الضمير المسيحيّ المثقّف، لا يسمح لأحد بأن يصوّت من أجل تحقيق برنامج سياسيّ أو تطبيق شريعة تتنافى والمضامين الأساسيّة للايمان والأخلاقيّة، في ما تقترح من بدائل أو في ما هو معاكس لهذه المضامين (مجمع عقيدة الايمان، مذكّرة تعليميّة حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك ومسلكهم في الحياة السياسيّة، ٤).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نواصل التفكير معًا في مضمون النصّ التاسع عشر من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وبوجه التحديد في الفصل الثالث وعنوانه "**التحدّيات**".

يكون هذا الفصل النظرة الاستراتيجيّة إلى المستقبل إنطلاقًا من عيش الهويّة والرسالة في ظروف تتميّز بثلاثة: **أوّلاً**، ممارسة السيادة والاستقلال وحريّة القرار بعد انسحاب الجيش الإسرائيليّ من الجنوب، وجلاء القوّات السوريّة من المناطق اللبنانيّة؛ **ثانيًا**، المخاض الحضاريّ الذي يعاني منه العالم العربيّ؛ **ثالثًا**، النظام العالميّ الجديد. يرى النصّ تحدّيات أوّليّة ينبغي مواجهتها: العيش المشترك، بناء دولة ديموقراطيّة حديثة،

المصالحة مع السياسة، والانتشار المارونيّ في أبعاده السياسيّة (الفقرات ٣٥-٥٩).

العيش المشترك

العيش المشترك **تجربة لبنانيّة مميّزة**، وخبرة، ومسؤوليّة مشتركة، وقدر اللبنانيين، وخيارهم الحرّ يرسّخونه كلّ يوم، رغم الصعوبات، على الأسس التي تجمع، وهي: الايمان بإله واحد، الانتماء إلى وطن واحد، والارتباط بمصير واحد، ودعوة من الله لنكون معًا ونبني معًا، مسؤولين بعضنا عن بعض (فقرة ٣٦). وهو **نمط حياة** قوامه: تواصل وتفاعل بين الأشخاص، واحترام الآخر في تمايزه وفرادته، واحترام الحياة في تنوّعها وغناها؛ وخلاصة موحّدة لمكوّنات الانسان المتعدّدة (فقرة ٣٧). إنّه وعي جديد للذات اللبنانيّة والوطن أدّت إليه اختبارات الحرب، وهو أن يعيش المسيحيّون والمسلمون في وطنهم الواحد، مختلفين من حيث الانتماء الدينيّ، ومتساوين في مواطنيتهم؛ وأنّ مصير كلّ واحد منهم مرتبط بمصير الآخر. فليس من حلّ لمجموعة دون أخرى، ولا لمجموعة على حساب أخرى (فقرة ٣٨).

والعيش المشترك مساهمة ضروريّة لوضع حدّ لدوّامة العنف التي تضع وجهًا لوجه هويّات ثقافيّة وسياسيّة متنوّعة، تجعل من كلّ واحدة منها خطرًا يتهدّد الأخرى (فقرة ٣٩). إذا حافظ اللبنانيّون على صيغة العيش المشترك بوجهه الصحيح والسليم، في مجتمع ديموقراطيّ قائم على التعدّديّة في الوحدة، وانتقل هذا الاختبار إلى العالم العربيّ في مخاضه الحاليّ، يتمّ التعريف بأنّ العروبة رابطة حضاريّة تقرّب بين العرب، لا مشروع سياسيّ يباعد بينهم، بل أيضًا عنصر إيجابيّ في صنع الحضارة الانسانيّة، وفي تثبيت دعامة الاستقرار والسلام (فقرة ٤٠).

العيش المشترك حاجة مستمرّة للتفاعل بين المسيحيّة والإسلام. فلا تكون النظرة الغربيّة إلى المسلمين كأنّهم يشكّلون تهديدًا، ولا تكون النظرة الإسلاميّة إلى تحرّك الغرب كأنّه مبنيّ على اعتبارات دينيّة، في حين أنّه محكوم بمصالح لا تمّت إلى الدين بصلة (فقرة ٤٣).

تفاعلت الكنيسة المارونيّة بانفتاح مع التاريخ السياسيّ لمحيطها العربيّ، ملتزمة قضاياه، ولاعبة دورًا رائدًا في بلورة الوعي السياسيّ العربيّ عبر دور الموارنة في الحداثة وحركة التحرّر والفكر والصحافة (الفقرة، ٤٢).

***

صلاة

تعال أيّها الروح القدوس، واجعل الانجيل قوّة حياة، والكنيسة شركة، والسلطة خدمة، والليتورجيّا تذكارًا حيًّا، والنشاط البشريّ مسلكًا خلقيًّا ومسيرة شجاعة تعلن الحقيقة وتوطّد الحريّة. بحلولك أيّها الروح، وبفعلك في داخل الانسان، تبيّن للعالم أنّ الله قريب، لا بعيد، وأنّه يعيش وسط شعبه، وتجعلنا ندرك أنّ "ملكوت الله في داخلنا" (لو ١٧/٢١). لك وللآب والابن، كلّ مجد وسجود وإكرام إلى الأبد، آمين.

الأحد ١ تموز ٢٠٠٧

الأحد السادس من زمن العنصرة

الرسالة المسيحيّة وتحدّياتها

إنجيل القدّيس متّى١٠/١٦-٢٠

قال الربّ يسوع لتلاميذه: «ها أنا أرسلكم كالخراف بين الذئاب. فكونوا حكماء كالحيّات، وودعاء كالحمام. إحذروا الناس! فإنّهم سيسلّمونكم إلى المجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم. وتساقون إلى الولاة والملوك من أجلي، شهادة لهم وللأمم. وحين يسلّمونكم، لا تهتمّوا كيف أو بماذا تتكلّمون، فإنّكم ستعطون في تلك الساعة ما تتكلّمون به. فلستم أنتم المتكلّمين، بل روح أبيكم هو المتكلّم فيكم. وسيسلّم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ابنه، ويتمرّد الأولاد على أولادهم ويقتلونهم. ويبغضكم جميع الناس من أجل اسمي، ومن يصبر إلى المنتهى يخلص. وإذا اضطهدوكم في هذه المدينة، أهربوا إلى غيرها. فالحقّ أقول لكم: لن تبلغوا آخر مدن إسرائيل حتّى يأتي ابن الانسان. ليس تلميذ أفضل من معلّمه، ولا عبدٌ من سيّده. حسب التلميذ أن يصير مثل معلّمه، والعبد مثل سيّده. فإن كان سيّد البيت قد سمّوه زبول، فكم بالحريّ أهل بيته؟».

***

تنطلق الكنيسة بإرسال من يسوع المسيح "إلى أقاصي الأرض" (أعمال ١/٨)، لتواصل إعلان إنجيل الخلاص للعالم أجمع:، كما أرسله الآب، ولهذا يمنحها الروح القدس (أنظر يوحنّا ٢٠/٢١-٢٣). يكشف الربّ لأبناء الكنيسة

الصعوبات والمحن والاضطهادات التي سيلقونها، لكنّه يعطيهم الضمانة أنّهم لن يكونوا وحدهم لتأدية رسالتهم، بل سيتلقّون العون والوسائل الكفيلة بتأديتها، من الربّ يسوع وحضور الروح وقوّته (رسالة الفادي، ٢٢-٢٣).

■ أوّلاً، مضمون الانجيل

١. الرسالة وتحدّياتها

"ها أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب" (متّى ١٠/١٦).

الكنيسة من طبعها **مرسلة** لتواصل رسالة الفادي التي ائتُمنت عليها، بحيث تشمل البشريّة جمعاء، فتجدّد، من جهة، الايمان وتقوّيه، وتنشّط الحياة المسيحيّة لدى أبنائها، ومن جهة ثانية، تعلن إنجيل المسيح إلى جميع شعوب الأرض، "لغاية وحيدة هي خدمة الانسان باظهار محبّة الله التي في يسوع المسيح"، ذلك أنّ "الفداء الذي تمَّ بالصليب أعاد إلى الانسان، وإلى الأبد، كرامته ومعنى وجوده في العالم" (رسالة الفادي، ٢).

المسيحيّون، بحكم معموديّتهم، **مرسلون**، ليعلنوا، في سيرة حياتهم وكلامهم ومواقفهم وأعمالهم، أنّ يسوع المسيح هو المخلّص الوحيد للجميع، وهو الذي وحده يقدر أن يظهر الله وأن يقود إلى الله. رسالتهم هي إيّاها رسالة الكنيسة التي تهدف إلى أن توجّه عقل الانسان وتهدي البشر أجمعين وخبرتهم نحو سرّ المسيح (المرجع نفسه، ٤-٥).

غير أنّ للرسالة مخاطرها وصعوباتها، لأنّ الكنيسة وأبناءها **"مرسلون كالخراف بين الذئاب"** (متّى ١٠/١٦) . **"الخراف"** رمز البراءة والصفاء والفداء والانتصار، وقد أصبح يسوع المسيح "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم" (يو ١/٢٩)، بصلبه وقيامته، "منتصرًا على التنّين العظيم، الحيّة القديمة

المدعوّة الشيطان، مضلّل المسكونة بأسرها؟ (رؤيا ١٢/٩). بدم هذا الحمل يتنقّى وينتصر حاملو رسالة الخلاص، كما رآهم يوحنّا في رؤياه: "رأيت جمعًا غفيرًا من الناس واقفين أمام العرش وأمام الحمل، موشّحين بالحلل البيضاء، وبأيديهم سعف النخل... إنّهم الآتون من الضيق الشديد، وقد غسلوا حللهم وبيّضوها بدم الحمل" (رؤيا ٧/٩ و١٤).

"**الذئاب**" هم أعداء المسيح، وأعداء كلّ حقّ وخير وجمال. هم الأشرار، الذين باعوا نفوسهم للشيطان وللشرّ، "ويقتحمون حظيرة الخراف لافتراسها وتبديدها" (يو ١٠/١٢). هكذا ودّع بولس الرسول كهنة كنيسة أفسس: "اهتمّوا بأنفسكم وبكلّ القطيع الذي أقامكم الروح القدس عليه، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدم ابنه يسوع. أنا أعلم أنّ **ذئابًا ضارية سوف تندسّ بينكم**، بعد رحيلي، ولن ترفق بالقطيع. ومنكم أنتم سيقوم رجال ينطقون بتعاليم منحرفة ليجرّوا التلاميذ وراءهم" (أعمال ٢٠/٢٨-٣٠). والذئاب هم رمز الرؤساء الذين، بدلاً من حماية القطيع، ينقضّون عليه كالذئاب، كما كانت كلمة الربّ على لسان حزقيال النبيّ: "في وسط الأرض مؤامرة: كأسدٍ زائر مفترس فريسة قد التهموا النفوس وأخذوا المال والنفيس، وكثّروا الأرامل فيها. وفي وسطها رؤساؤها كالذئاب المفترسة الفريسة، سافكين الدم، مهلكين النفوس، لكي يكسبوا كسبًا" (حز ٢٢/٢٥ و٢٧).

يوصي الربّ يسوع هؤلاء المؤمنين حاملي رسالة الشهادة "**بوداعة الحمام وحكمة الحيّات**" (متّى ١٠/١٦)، في أداء الرسالة والحذر من سطوة الذئاب. إنّ كتاب أعمال الرسل يروي لنا رسالة الكنيسة الأولى وما عانت من اضطهاد ومحن، كما أنبأها يسوع في إنجيل اليوم. وكتاب رؤيا يوحنّا استباق لما ستعاني الكنيسة من محن واضطهادات، من جيل إلى جيل حتّى نهاية العالم. لكنّ الربّ المسيح يهديها: إنّه "**كوكب الصباح الساطع**"، الآتي

عاجلاً إلى الكنيسة العروس الهاتفة مع الروح: "تعال أيّها الربّ يسوع" (رؤيا ١٦/٢٢ و١٧ و٢٠).

٢. نظرة إلى الحاضر

تواجه رسالة الكنيسة اليوم **صعوبات داخليّة وخارجيّة**. فمن الداخل، "تتعرّض المسيحيّة لتجربة تقليصها إلى مجرّد حكمة بشريّة، وبنوع ما إلى علم حياة الرفاهية. في عالم متعلمن للغاية، ظهرت علمنة متطوّرة لمفهوم الخلاص. لكن في المقابل، نحن نعلم أنّ يسوع جاء حاملاً الخلاص الكامل العجيب الذي يتناول الانسان كلّه جسدًا ونفسًا وروحًا والبشر جميعًا، ويجعلهم ينفتحون على أفق البنوّة الإلهيّة" (رسالة الفادي، ١١). **ومن الخارج**، "إنّ بعض البلدان تمنع المرسلين من الدخول إليها، والبعض الآخر لا يمنع فقط من إعلان إنجيل الخلاص، بل أيضًا من الاهتداءات وأعمال العبادة المسيحيّة، وفي أمكنة أخرى تكون الحواجز على صعيد ثقافيّ بحيث يُعتبر اهتداء المرء تخلّيًا عن شعبه وثقافته" (المرجع نفسه، ٣٥).

ولا بدّ من الإشارة إلى **صعوبات أخرى هي** "التعب والانزعاج، الرتابة واللامبالاة، وبالأكثر فقدان الفرح والرجاء" (البابا بولس السادس، واجب التبشير بالانجيل، ٨٠). أضف إليها انقسامات المسيحيين، في الماضي والحاضر، والتي تشكّل عقبات كبيرة أمام روح الرسالة في الكنيسة (القرار المجمعيّ في نشاط الكنيسة الارساليّ، ٦). ثمّ هناك التقلّص المسيحيّ في عدة بلدان مسيحيّة، والنقص في الدعوات إلى الرسالة، والشهادات المعاكسة من قبل المؤمنين وجماعات مسيحيّة لا يتبعون مثال المسيح في حياتهم. وأخيرًا، أحد العوامل الأشدّ خطرًا لفقدان الاهتمام بالالتزام بالرسالة هو الذهنيّة المطبوعة

باللامبالاة الكثيرة الانتشار بين المسيحيين، والمبنيّة غالبًا على مفاهيم غير صحيحة مثل القول: "كلّ الأديان متساوية" (رسالة الفادي، ٣٦).

إنّ هذه الصعوبات الداخليّة والخارجيّة **يجب ألاّ تحمل إلى التشاؤم والتقاعس**. لنا ثقة تأتي من الايمان تؤكّد أنّنا لسنا نحن أنفسنا أبطال الرسالة، بل يسوع المسيح وروحه، وما نحن سوى معاونين: "حين يسلّمونكم، لا تهتمّوا كيف أو بماذا تتكلّمون، فإنّكم ستُعطون في تلك الساعة ما تتكلّمون به. فلستم أنتم المتكلّمين، بل روح أبيكم هو المتكلّم فيكم" (متّى ١/١٩-٢٠).

ليست الرسالة محصورة بالانجيل والشأن الروحيّ، وكأنّها منسلخة عن واقع الانسان بكلّيته وبمختلف أبعاده الثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والإنمائيّة. الكنيسة ومؤسّساتها تعمل من أجل كلّ هذه الأبعاد. نأمل أن يفعل أهل الحكم كذلك. من المؤسف أن لا صلة بين الحاكم والشعب الذي انتدبه. فلكي يكون الحاكم متّصلاً بالجميع ينبغي أن يلتمس الاتّحاد بالله، أي منصرفًا عن شهواته وشهوة المتملّقين لكي يخدم جميع الموطنين بدون روح الزبانية المتأصّلة عند الحاكم والمحكوم. وطالما الشعب لا يثق بأنّ مسؤولي الدولة الكبار منزّهون، فإنّ حاكميّة الدولة مستحيلة. أجل ما لم يُلغ الطلاق بين أهل العلم والمتعاطين الشأن العامّ، لن تشفى الأمّة وتستقيم الدولة. عند ذاك يبدأ الرجاء.

على **المستوى الاقتصاديّ**، مؤسّسات القطاع الخاصّ تعاني اختناقًا حادًّا قضى على الكثير منها ويهدّد بقاء أخرى. خزينة القطاع العامّ تنوء بأثقال الديون. فلا الاقتصاد قادر على تخفيف ديون القطاع العامّ، ولا القطاع العامّ يرعى مصالح القطاع الخاصّ أو يفكّ الخناق عن مؤسّساته. والسبب في

ذلك هو السلوك الاقتصاديّ والنقديّ الرسميّ الذي سخّر الموارد الماليّة للبلاد في خدمة أوهام اقتصاديّة وسياسيّة، وفي إنفاق رسميّ طحن مليارات الدولارات واستنزف قدرات القطاعين العامّ والخاصّ لمصلحة بعض أهلهما. إنّ القطاع العامّ في لبنان بات يعمل لنفسه متخلّيًا عن دور الإدارة والرعاية لشؤون القطاع الخاصّ، همّه عجزه وديونه وحساباته والتمسّك ببعض الأوهام الاقتصاديّة على حساب القطاع الخاصّ ومصالحه الحيويّة. وسائلة ضرائب ورسوم ومصادرة مزيد من الثروة الماليّة في البلاد واستبعاد القطاع الخاصّ عنها. فهو كأمّ تأكل من صحن طفلها (الدكتور إيلي يشوعي، في جريدة النهار: لا ليغيّروا بل ليتغيّروا، الأحد ٢٠ تمّوز ٢٠٠٣). أضف إلى هذه الأزمة الاقتصاديّة الخانقة الأزمة السياسيّة التي تعطّل منذ شهور كلّ شيء. وهذا إجرام بحقّ الشعب والدولة.

■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

نقتنع يومًا بعد يوم كم أنّ أبناء هذا المجتمع بحاجة إلى التربية على السلام والديموقراطيّة. الواقع الذي نعيشه في مجتمعنا يبيّن أنّ الناس، ولاسيّما المسؤولين، فقدوا مفهوم السلام والديموقراطيّة.

١. السلام يعني في جوهره إعطاء الانسان والشعب، في مجتمع محدّد وواقعيّ، ما له من حقوق أساسيّة، تتحدّر مباشرة من طبيعة الانسان. إذا فقدنا هذا المفهوم وقع الخلل.

في رسالته ليوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧) ذكّر البابا بندكتوس السادس عشر الدول، وبخاصّة منظّمة الأمم المتحدة، أنّ الإعلان العالميّ لحقوق الانسان سنة ١٩٤٨، إنّما كان التزامًا أدبيًّا أخذته البشريّة بكاملها على عاتقها، وأنّ لهذا الإعلان أساسًا، ليس فقط

في قرار منظّمة الأمم التي أقرّته، بل في طبيعة الانسان عينها، وفي ما له من كرامة لا تنتزع، لأنّ الله هو الذي خلقه.

وأضاف قداسته: "من الأهميّة بمكان ألاّ يغيب عن خاطر الأمم المتحدة هذا الأساس الطبيعيّ لحقوق الانسان، لكي تتجنّب خطر الانزلاق. وإذا صدف أن انزلقت، فستفقد سلطتها اللازمة لتقوم بدور المدافع عن حقوق الانسان والشعوب الأساسيّة. وهذا مبرّر وجودها" (فقرة ١٣). والسلام يتطلّب وسيلة فاعلة لحماية هذه الحقوق وتعزيزها.

يشير الأب الأقدس إلى أنّه مذ صار الوعي بأنّ ثمّة حقوقًا إنسانيّة لا تنتزع لارتباطها بطبيعة الانسان المشتركة، وضع **شرع دوليّ إنسانيّ**، تعهّدت الدول التقيّد به وبخاصّة في حال الحرب. إنّه يقتضي حماية الضحايا البريئة ومساعدتها، والامتناع عن توريط المدنيين في قلب الصراع. ومن الضرورة أن تواجه الدول المدّ الأصوليّ، الذي يبتكر صيغًا للعنف، بمقتضيات الشرع الدوليّ الانسانيّ. ومن الملحّ، أمام آفة الأصوليّة، التفكير العميق في الحدود الأخلاقيّة المتعلّقة باستعمال الأدوات المسلّحة، وبواجب العمل على توطيد الأمن الوطنيّ (فقرة ١٤).

٢. **الديموقراطيّة**، هي أيضًا تقوم على أسس الأخلاقيّة الطبيعيّة، فتثمر سلامًا هو بدوره ثمرة العدالة والمحبّة (كتاب التعليم المسيحيّ، ٢٣٠٤). إذا فُقدت الأخلاقيّة الطبيعيّة وقعت الفوضى الأدبيّة، وقامت الفوضى السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وسواها. نعرف من التاريخ أنّ ديموقراطيّة آتينا المثاليّة سقطت عندما انهارت الأخلاقيّة الطبيعيّة (éthique naturelle).

يقوم النظام الديموقراطيّ على **حقّ المساءلة والمحاسبة** من قبل جميع المواطنين.

ما هو مضمون المساءلة والمحاسبة؟

يُسَاءل أصحاب السلطة ويحاسبَون **عن الحياة البشريّة**، وحمايتها من أيّ تعدٍّ أو تعذيب أو حرمان، بدءًا من اللحظة الأولى لتكوينها في حشا الأمّ حتّى آخر نسمة من حياتها، التي للخالق وحده وضع حدّ لها.

يُساءلون ويحاسبون عن **العائلة** وحقوقها وكرامتها، عن وحدتها واستقرارها، عن خيرها ونموّها، عن هنائها وسعادتها، وعن حقّ الوالدين في تربية أولادهم وفقًا لقناعاتهم وتقاليدهم وقيمهم.

يُساءلون ويحاسبون **عن حماية القاصرين الاجتماعيّة**؛ وعن انحراف المواطنين **نحو الادمان على المخدرات والدعارة**، وهي إشكال جديدة للعبوديّة؛ **وعن اقتصاد** يكون في خدمة الشخص، والخير العامّ، باحترام العدالة الاجتماعيّة ومبدأ التضامن الانسانيّ، وتأمين حقوق الأشخاص والعائلات والمجموعات وممارستها (مجمع الايمان: مذكّرة تعليميّة حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٤).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الجماعات في الرعيّة والمدرسة والمؤسّسات الرهبانيّة والمجتمع، التفكير معًا في النصّ المجمعيّ التاسع عشر: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وتحديدًا في الفصل الثالث، حول **التحدّيات الأوّليّة** التي تواجهها النظرة الإستراتيجيّة إلى المستقبل. بعد العيش المشترك، يأتي الالتزام **ببناء دولة ديموقراطيّة حديثة** (فقرة ٤٤ و٤٥).

يعتبر النصّ المجمعيّ أنّ صيغة العيش المشترك تحتاج، من أجل حمايتها، إلى دولة ديموقراطيّة حديثة، قائمة على التوافيق بين **المواطنيّة والتعدّديّة**. المواطنيّة تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين الجميع؛ والتعدّديّة تقتضي العمل بمبدأ المشاركة في الحكم والإدارة من قبل الجميع، عملاً بمقدّمة الدستور اللبنانيّ: "لا شرعيّة لأيّ سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك" (فقرة ٤٤).

أمّا الدولة الديموقراطيّة المنشودة فهي التي تؤمن:

أ. التمييز الصريح، حتّى حدود الفصل، بين الدين والدولة، فلا الدين يسّيس ولا الدولة تعتّد بالدين.

ب. الانسجام بين الحريّة التي هي في أساس فكرة لبنان والعدالة القائمة على المساواة في الحقوق والواجبات، كأساس للعيش المشترك.

ج. الانسجام بين حقّ المواطن الفرد في قراراته الشخصيّة المصيريّة، وحقّ الجماعات في الحضور والحياة على أساس خياراتها. د. الانسجام بين استقلال لبنان ونهائيّة كيانه، وبين انتمائه العربيّ وانفتاحه على العالم (فقرة ٤٥).

***

صلاة

هلمّ أيّها الروح القدس، نحن بحاجة إليك لتنير الدرب الذي يجب أن نسلكه في رسالة الكنيسة وبناء المجتمع. إليك نفتح قلوبنا لتملأها عزاءً، وشفاهنا لتضع عليها كلمة الحقّ. نحن نؤمن أنّك ساكن فينا، وأنّك ضيف

نفوسنا الدائم واللطيف. صوّرنا أيّها الروح القدّوس على صورة المسيح لنشهد له باللسان والعمل. صلِّ فينا لنرفع آيات الحمد والتسبيح والشكر للثالوث المجيد الآب والابن والروح القدس، آمين.

الأحد ٨ تمّوز ٢٠٠٧

الأحد السابع بعد العنصرة

الاختيار والارسال لعمل الخلاص

إنجيل القدّيس لوقا١٠/١-٧

عيّن الربّ يسوع اثنين وسبعين آخرين، وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كلّ مدينة وموضع كان مزمعًا أن يذهب إليه. وقال لهم: «إنّ الحصاد كثير، أمّا الفعلة فقليلون. أطلبوا إذًا من ربّ الحصاد أن يُخرج فعلة إلى حصاده. إذهبوا. ها أنا أرسلكم كالحملان بين الذئاب. لا تحملوا كيسًا، ولا زادًا، ولا حذاءً، ولا تسلّموا على أحد في الطريق. وأيّ بيتٍ دخلتموه، قولوا أوّلاً: السلام لهذا البيت. فإن كان هناك ابن سلام فسلامكم يستقرّ عليه، وإلاّ فيرجع إليكم. وأقيموا في ذلك البيت تأكلون وتشربون ممّا عندهم، لأنّ الفاعل يستحقّ أجرته. ولا تنتقلوا من بيت إلى بيت».

***

اختيار وإرسال عامودان يقوم عليهما تصميم الله الخلاصيّ. فالله، بالمسيح يختار من يقود شعبه إلى ميناء الخلاص، ويرسل المختارين، في كلّ مكان وزمان، ليعدّوا طريقه إلى العقول بكلمة الانجيل الهادية، وإلى النفوس بنعمة الأسرار الشافية، وإلى القلوب بهبة روح المحبّة المحيية. إنّها رسالة إنجيل السلام لكلّ إنسان. ولأنّ الحصاد كثير، وحاجات البشر لا حدّ لها، يدعو الربّ يسوع للصلاة إلى الله "ليرسل فعلة لحصاده" (لو ١٠/٢).

■ أوّلاً، حول نصّ الانجيل

١. الاختيار والإرسال

إنجيل اليوم يكشف مظهرًا آخر من وجه الكنيسة الرسوليّة، هو وجه **الاختيار والارسال**. الهدف إدخال جميع الناس في شركة **الخلاص**، بالاتّحاد بالله، وبالوحدة بين البشر.

"إذهبوا، ها أنا أرسلكم كالخراف بين الذئاب" (لو ١٠/٣).

"الخراف" هم رمز الذين يعيشون في هذه الشركة، و"الذئاب" رمز الذين لم يعرفوها. فيما الأوّلون يتميّزون بالوداعة والبراءة والعطاء، الآخرون يعتدون ويخطفون وينهشون. **واشترط** الربّ على المرسلين-الخراف أن يتميّزوا **بالتجرّد** من خيرات الدنيا: "لا تحملوا أكياسًا ولا مزاود ولا حذاء"، **وعدم التلهّي** بشؤون الناس الزمنيّة: "لا تسلّموا على أحد في الطريق" (لو ١٠/٤-٥). **وحمّلهم رسالة السلام** لجميع الناس: "أيّ بيتٍ تدخلون، قولوا أوّلاً: السلام لهذا البيت" (لو ١٠/٥). **وحثّ المؤمنين على الاحسان** لفعلة الانجيل: "كونوا في ذلك البيت تأكلون وتشربون ممّا عندهم، لأنّ الفاعل يستحقّ أجرته". **وحذّر** حاملي رسالة المسيح من أن يكونوا عبئًا على أحد: "لا تنتقلوا من بيت إلى بيت" (لو ١٠/٧).

في رسالته بمناسبة يوم الصلاة الرابع والأربعين من أجل الدعوات الإكليريكيّة لهذه السنة، قال قداسة البابا إنّ **الاختيار والإرسال يهدفان إلى خدمة الكنيسة-الشركة**. من هذه الرسالة نستخلص شرح إنجيل اليوم.

لقد اختار الله دائمًا أشخاصًا ليعاونوه مباشرة في تحقيق تصميمه الخلاصيّ. فدعا في العهد القديم **ابراهيم** لينشىء شعبًا كبيرًا (تك ١٢/٢)، ثمّ **موسى** ليحرّر شعبه من عبوديّة مصر (خروج ٣/١٠)، ومن بعدهما الأنبياء

ليدافعوا عن العهد الذي قطعه مع شعبه، ويحفظوه حيًّا في النفوس. وفي العهد الجديد، بدأ بدعوة **صيّادي السمك** في الجليل لاتّباعه، وجعلهم صيّادين للبشر (مر ١/١٧؛ متّى ٤-١٩)، واستكمل دعوة الاثني عشر ليكونوا معه ويشاركوه في رسالته (مر ٣/١٤). وما زال إلى اليوم يدعو من يشاء للغاية نفسها.

لماذا الاختيار والدعوة؟ وإلى مَن تهدف رسالة الكنيسة في جوهرها؟ الجواب يأتي من صلاة يسوع من أجل الذين دعاهم وأرسلهم: "أيّها الآب، لقد عرّفتهم اسمك، وسأعرّفهم أيضًا، لكي تكون فيهم محبّتك التي أحببتني بها، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧/٢٦). **إنّها الشركة العميقة والأمينة مع الله وفيما بينهم.**

الكنيسة شعب يأخذ وحدته من اتّحاد الآب والابن والروح القدس، فينعكس عليه سرّ الله الثالوث، بحيث يشكّل، برباط المحبّة الثالوثيّة المسكوبة في القلوب، بفعل الروح القدس، **جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا**، هو المسيح الكلّيّ (الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ٤).

هذا الشعب المنظّم عضويًّا بقيادة رعاته الكنسيين، يعيش سرّ الشركة مع الله وبين الأخوة، عندما يجتمع حول مائدة الأفخارستيّا، في قدّاس يوم الأحد. سرّ القربان هو ينبوع وحدة الكنيسة وشركتها. فيه يمتلئ قلب المؤمن من محبّة الله، وينطلق إلى خدمة ملكوته، ملكوت الحقيقة والحريّة، العدالة والمحبّة، القداسة والغفران. في الجماعة الكنسيّة الموحّدة والمتضامنة، المسؤولة والفاعلة، يمكن سماع نداء الله وتمييز صوته.

٢. خدمة الشركة

"أرسلهم اثنين اثنين، أمام وجهه، إلى كلّ موضع ومدينة حيث كان مزمعًا أن يمضي" (لو ١٠/١).

من بعد أن أدخلهم الربّ يسوع في الشركة معه ومع الله، وجعلهم واحدًا في الشركة بعضهم مع بعض، أرسلهم ليعرّفوا الناس على اسمه وعلى الحقيقة التي حملها إليهم، وهي حقيقة الله والانسان والتاريخ. في كتاب أخير لقداسة البابا بعنوان "يسوع الذي من الناصرة"، يطرح السؤال الذي ينبغي أن يطرحه كلّ إنسان: **من هو الله؟** ويجب أن تطرح كلّ الديانات والثقافات سؤالاً آخر ناتجًا عن الأوّل: **من هو الانسان؟** كم يحتاج عالم اليوم إلى أن يطرح، في ظلمة أزماته السياسيّة والاقتصاديّة، الروحيّة والثقافيّة، هذين السؤالين المتلازمين!

في أساس الإرسال للنداء الالهيّ. فلا بدّ من سماع صوت الله الذي يدعو ويرسل. نحتاج كلّنا إلى "التربية" على سماع نداء الله، كما ساعد عالي فتاه صموئيل على فهم ما يطلب منه الله وعلى إتمامه سريعًا. لقد علّمه أن يقول عندما يسمع صوت الربّ: "تكلّم، يا ربّ، فإنّ عبدك يسمع" (١ صموئيل ٣/٩). ولمّا أخبر الفتى صموئيل ما قاله الربّ بشأن عالي، وكان كلامًا صعبًا ومحرجًا، قال عالي: "هو الربّ، فما حسن في عينيه، فليفعل" (١ صموئيل ٣/١٨). وهكذا أصبح صموئيل نبيًّا مرسلاً من الله إلى الشعب كلّه.

يعلّق قداسة البابا، في رسالته بمناسبة يوم الصلاة من أجل الدعوات الكهنوتيّة، على هذا الحدث: إنّ سماع نداء الله، سماعًا مطواعًا وأمينًا، يقتضي جوًّا من الشركة مع الله لتمييز صوته، والشركة بين الناس لخلق جوّ

ملائم لسماعه، فحيث "يلتقي اثنان باسم الله، يكون هو الثالث بينهما"، وإذا اتّفق اثنان لطلب أمر من الله، كان لهما" (متّى ١٨/١٩-٢٠).

فلا بدّ من التربية على الشركة الكنسيّة الأصيلة. وهذا واجب على الوالدين في البيت، وعلى الكهنة في رعاياهم. فالزواج والكهنوت هما لخدمة الشركة. **الكاهن** هو "خادم الكنيسة-الشركة، لأنّه بالاتّحاد مع الأسقف والرباط الوثيق مع الجسم الكهنوتيّ، يبني وحدة الجماعة الكنسيّة في تناغم الدعوات والمواهب والخدمات" (أعطيكم رعاة، ١٦). ومن واجب الأساقفة والكهنة أن يوجّهوا كلّ خدمة وكلّ موهبة، عند أبناء الكنيسة وبناتها، إلى الشركة الكاملة. ومعروف أيضًا أنّ الحياة المكرّسة، في الأديار وفي العالم، إنّما هي في خدمة الشركة، من خلال إذكاء المحبّة الأخويّة تحت شكل الحياة المشتركة، والأخوّة النابعة من الايمان بالثالوث القدّوس (الإرشاد الرسوليّ "في الحياة المكرّسة"، ٤١).

إنّ الشركة في العائلة وفي الرعيّة وفي الجماعة المكرّسة، تجد نبعها وغايتها في سرّ القدّاس، "فالأفخارستيّا ينبوع حياة الكنيسة وذروتها". من يلتزم بخدمة إنجيل العائلة والحياة أو إنجيل الخلاص أو إنجيل المحبّة الكاملة، وهو إنجيل واحد، ويعيش من سرّ القربان، إنّما يتقدّم في المحبّة تجاه الله والناس، ويساهم في بناء الكنيسة-الشركة. ما أحوجنا إلى مسيحيين يطبعون بروح الانجيل الشؤون الزمنيّة التي يعملون فيها: السياسة والإدارة والقضاء والاقتصاد والتجارة والإعلام والأمن وسواها. "الحبّ القربانيّ" هو الذي يطلق ويؤسّس كلّ نشاط كنسيّ ومدنيّ، وفي الليتورجيّا نختبر محبّة الله، ونتبصّر حضورها، ونتعلّم معرفتها في حياتنا اليوميّة (من رسالة البابا ليوم الدعوات).

■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. **السلام هو غاية رسالة الكنيسة**، لأنّ مجد الله في السماء يظهره السلام على الأرض. ننهي اليوم ما جاء في تعليم البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته بمناسبة يوم السلام العالميّ ٢٠٠٧، وهي بعنوان: "**الشخص البشريّ قلب السلام**".

الطريق الذي يؤمّن مستقبل سلام للجميع يمرّ عبر **اتفاقات دوليّة** تهدف إلى اثنين: التزام الدول بعدم انتشار الأسلحة النوويّة، والتزامها بمتابعة العمل عن تصميم على التخفيف منها وتفكيكها نهائيًّا. وهذا ما يمكن الوصول إليه بالمفاوضات. وهو أمر ملحّ لأنّ مصير البشريّة جمعاء على المحك. ولا بدّ من الإشارة إلى ما يؤكّده المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني أنّ "كلّ عمل حربيّ يسعى دونما تمييز إلى تدمير مدن بكاملها ومناطق واسعة مع سكّانها، إنّما هو جريمة ضدّ الله والانسان ذاته، يجب استنكارها بقوّة ودونما تردّد" (الكنيسة في عالم اليوم، ٨٠ (فقرة ١٥).

التماس السلام من الله، وهو خير أساس في حياة كلّ إنسان، واجب على المسيحيّ أن يفاخر بالقيام به. فهو ملتزم، بحكم انتمائه إلى الكنيسة، بالعمل دونما كلل في سبيل السلام، والدفاع الجريء عن كرامة الشخص البشريّ وحقوقه التي لا تُنتزع. فالدفاع عن تسامي الشخص البشريّ يرسي أسس الكرامة البشريّة والسلام الحقيقيّ والعادل (فقرة ١٦).

نكون بناة السلام عندما نعمل جاهدين في سبيل تطوير إنسانيّة حقيقيّة كاملة، وفقًا لتعليم الكنيسة الاجتماعيّ، ولاسيّما في الرسالتين العامّتين: "**ترقّي الشعوب**" للبابا بولس السادس، و"**الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ**"

للبابا يوحنّا بولس الثاني. في هذه السنة نحتفل بمرور ٤٠ سنة على صدور الأولى، و٢٠ سنة على صدور الثانية (فقرة ١٧).

٢. **الديموقراطيّة** الحقيقيّة هي التي تقرّ استقلاليّة المساحة المدنيّة والسياسيّة عن المساحة الدينيّة، ولكن لا عن المساحة الخلقيّة. فالفصل بين السياسة والدين، لا بين السياسة والأخلاقيّة، قيمة مكتسبة ومعترف بها من قبل الكنيسة، وتنتمي إلى التراث الحضاريّ الذي أُحرز.

لقد نبّهت الكنيسة، بلسان خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني، إلى المخاطر الناتجة من أيّ خلط بين المساحة الدينيّة والمساحة السياسيّة: "يجب الأخذ بعين الاعتبار التمييز بين صلاحيّات الدين وصلاحيّات المجتمع السياسيّ. فإنّه لأمر دقيق للغاية أن تصبح شريعة دينيّة أو تسعى لتصبح شريعة الدولة. إنّ تماهي الشريعة الدينيّة مع الشريعة المدنيّة قد يؤدّي إلى خنق الحريّة الدينيّة والحدّ من حقوق إنسانيّة غير قابلة للانتهاك أو إنكارها" (الرسالة بمناسبة يوم السلام العالميّ ١٩٩١).

من أجل ديموقراطيّة سليمة ينبغي **أن تظلّ الأعمال الدينيّة**، كإعلان الايمان، وإتمام أفعال العبادة والأسرار، والعقائد الدينيّة، والاتّصالات المتبادلة بين السلطات الروحيّة والمؤمنين، وسواها، **خارج صلاحيّات الدولة**. فلا يحقّ لهذه أن تتدخّل فيها، ولا تستطيع، بأيّ شكل من الأشكال، أن تفرضها أو تمنعها، مع اعتبار مقتضيات الانتظام العامّ. إنّ إقرار الحقوق المدنيّة والسياسيّة وأداء الخدمات العامّة لا تستطيع أن تكون مشروطة بقناعات أو واجبات ذات طبيعة دينيّة من قبل المواطنين (مجمع عقيدة الايمان: مذكّرة تعليميّة بشأن بعض المسائل المختصّة بالتزام الكاثوليك ومسلكهم في الحياة السياسيّة، ٦).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نواصل في هذا الأسبوع تقبّل النصّ التاسع عشر من المجمع البطريركيّ المارونيّ، بعنوان: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وعلى وجه التحديد **المصالحة مع السياسة** (الفقرات ٤٦-٥٢).

يعتبر النصّ أنّ من غير الممكن بناءَ دولة ديموقراطيّة حديثة من دون المصالحة مع السياسة، التي هي فنّ شريف يعمل في سبيل خدمة الخير العامّ، ويهدف إلى تكوين مجتمع يعترف فيه كلّ شخص بالآخر على أنّه أخوه ويعامله على هذا الأساس؛ وهي ممارسة يوميّة تسعى إلى إيجاد الحلول لمشاكل المجتمع ولتأمين حقّ الانسان المواطن في الحريّة والعدالة والسلام والعيش الكريم؛ وهي الاهتمام بالآخرين بالاستماع إلى مشاكلهم ومساعدتهم على حلّها. بينما في الواقع أصبحت لدى الكثيرين نوعًا من المناورات والخصومات واستعمال النفوذ، وسعيًا بكلّ الوسائل، وعلى حساب كلّ المبادئ والمصلحة العامّة، للوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها، والوسيلة الأسهل لتحقيق الثروات الخاصّة على حساب المال العامّ (الفقرات ٤٦ و٤٧).

تقتضي المصالحة مع السياسة ثلاثة:

أ. **المشاركة في إدارة الشأن العامّ**، أي المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وهي مشاركة يقوم بها كلّ من موقعه وإمكاناته. إنّها واجب على المسيحيين لكي يبثّوا روح الانجيل في الشؤون الزمنيّة، عن طريق خدمة الشخص والمجتمع، بهدف تعزيز الخير العامّ (فقرة ٤٨).

ب. **الالتزام بالقيم الانجيليّة** من أجل استقامة الأداء السياسيّ وتأمين

المصلحة العامّة. على أساس هذه القيم يتجدّد الأفراد بالمبادئ والفضائل المسيحيّة والانسانيّة والاجتماعيّة، وتتجدّد القيادات متحلّية بالمصداقيّة والشفافيّة والاستقامة المسلكيّة والشجاعة الفكريّة، وبالقدرة على التسوية من دون المساومة على المبادئ، وبالقدرة على الابتكار وتحسّس مشاكل العصر، وبالالتزام في تقديم المصلحة العامّة على المصالح الفرديّة والفئويّة (الفقرة ٤٩ و٥٠). من واجب المسيحيين التصدّي للعنف والظلم والبغض والاستبداد، والعمل على بناء مستقبل أكثر إنسانيّة، فيقاوموا بشدّة مظاهر الفساد السياسيّ والاجتماعيّ، ويدافعوا عن الفقراء والمهمّشين والمرضى، ويعملوا على تأمين المساواة بين الجميع (الفقرتان ٤٩ و٥٠).

ج. **تعزيز الثقافة الديموقراطيّة وممارستها**، لأنّها الشرط الأساس لبقاء لبنان. من شأن هذه الثقافة والممارسة أن تعطي الأوّلويّة للنقاش بدل التنافر، وأن تغلّب المنطق على الانفعالات الآنيّة، وأن تنقل من مرحلة المواطن القابل بما هو مفروض عليه إلى المواطن الفاعل والمؤثّر في مجتمعه. كلّ ذلك بالمثابرة والعزم الثابت والرجاء بأنّ التحوّلات ممكنة كي يتحسّن وضع البشر. ومن الضرورة أن تشمل الثقافة الديموقراطيّة الشبيبة والنساء، وأن توفّر لهم ولهنّ الفرص للممارسة الديموقراطيّة (الفقرة ٥١ و٥٢).

***

صلاة

هلمّ أيّها الروح القدس، وأضرم في قلوبنا تلك النار التي اتّقدت في قلبَي تلميذَي عمّاوس، عندما كانا يسمعان في الطريق كلام الله من فم الربّ يسوع. ففي الزمن العسير، حيث الرسالة تواجه العديد من المصاعب، تعال أيّها الروح القدوس واملأ قلوبنا المنطفئة، وأضرم فيها شعلة الحياة والرجاء ونعمة القداسة. قُدْ عقولنا لتلجَ إلى عمق سرّ المسيح والكنيسة، وقوِّ فينا الحميّة لإعلان الانجيل. نسألك ذلك بشفاعة سيّدتنا مريم العذراء المملوءة من كمال الأمومة والنعمة. للثالوث المجيد الآب والابن والروح القدس كلّ تسبيح ومجد وشكر إلى الأبد، آمين.

الأحد ١٥ تموز ٢٠٠٧

الأحد الثامن من زمن العنصرة

الخدمة والليتورجيّا

إنجيل القدّيس متّى ١٢/١٤-٢١

خرج الفرّيسيون فتشاوروا على يسوع ليهلكوه. وعلم يسوع بالأمر فانصرف من هناك: وتبعه كثيرون فشفاهم جميعًا، وحذّرهم من أن يَشْهَروه، ليتمّ ما قيل بالنبيّ أشعيا: «هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي رضيت به نفسي. سأجعل روحي عليه فيبشّر الأمم بالحقّ. لن يماحك ولن يصيح، ولن يسمع أحد صوته في الساحات. قصبة مرضوضة لن يكسر، وفتيلةً مدخّنةً لن يطفىء، إلى أن يصل بالحقّ إلى النصر. وباسمه تجعل الأمم رجاءها».

***

يسوع المسيح فادي البشر هو قدوة لكلّ من يتّقي الربّ ويواصل عمل الفداء. يتجلّى سرّ الكنيسة المؤتمنة على رسالة الفداء، تحملها إلى جميع الشعوب. وبما أنّه خادم الربّ، فقد دشّن خدمة الكنيسة التي يشرك فيها جميع المؤمنين به. وهي خدمة إنجيل الخلاص لجميع شعوب الأرض والأمم.

■ أوّلاً، شرح الانجيل

١. خادم الربّ

"هوذا عبدي الذي اخترته" (متّى ١٢/١٨)

هذه الآية هي بداية نشيد أشعيا النبيّ الرباعيّ عن يسوع المسيح (أشعيا ٤٢/١-٤). ففي النشيد الأوّل يعلن الله رسميًّا عبده المختار الذي رضي عنه وملأه من الروح القدس وأرسله يعلن الحقّ للأمم. وفي الثاني (أشعيا ٤٩/١-٨) يعرب عبد الربّ عمّا يعاني من اضطهاد ورفض لدى الأمم، لكنّ الله يجدّد عهده معه ودعوته "ليكون نورًا للأمم وخلاصًا". وفي الثالث (أشعيا ٥٠/٤-٩) يسلّم العبد نفسه للضرب والاهانة، لكنّ السيّد الربّ ينصره. أمّا في النشيد الرابع (أشعيا ٥٢/١٣-١٥؛٥٣/١-١٣) فتظهر آلام الفداء التي يعانيها هذا العبد الذي اختاره الله.

هذه الأناشيد الأربعة تشكّل رسالة فداء البشر التي سيتمّمها المسيح، وقد كُتبت قبل مجيئه بستماية سنة. ونجد فيها ملامح وجه المخلّص. ولا عجب، فإنّ اسم أشعيا يعني بالعبريّة "الله يخلّص" (يا شعياهو)، والقدّيس إيرونيموس يطلق على أشعيا لقب "الانجيليّ". فالعبد هو "عابد الله" أي خادمه الشريف، الذي ملأه من الروح ليتمّم الرسالة الموكولة إليه، وهي أن يتألّم ويموت باذلاً نفسه، ويقوم منتصرًا انتصارًا عظيمًا: إنّه "يبشّر الأمم بالحقّ"، ويسلك في التواضع والامّحاء، "لا يخاصم ولا يصيح"، وبالصبر والثبات "يسير بالحقّ إلى النصر"، ويصير رجاء لكلّ إنسان وشعب: "وعلى اسمه تتّكل الأمم".

إنّ عبارة "هوذا عبدي الذي عنه رضيت" سيكرّرها الآب مرّتين عن

المسيح ابنه: في المعموديّة على نهر الأردن (متّى ١٧/٣) وفي التجلّي على الجبل (متّى ٥/١٧). وقيلت عن كلّ واحد منّا يوم معموديّته.

لكنّها تقال عن **الكنيسة**، شعب الله الجديد، المعروفة "**بالمسيح الكلّي**"، حسب تعبير القدّيس أغسطينوس، أي المسيح الرأس وأعضاء جسده المعمّدين. هذا يعني أنّ رسالة "العبد" هي رسالة الكنيسة وأبنائها المسيحيين. إنّها "**خدمة العبادة**" القائمة على اثنتين: **خدمة الكلمة** ومضمونها إعلان سرّ الخلاص، و**خدمة التقديس** التي تحقّق هذا الخلاص، إنّها معروفة **بالليتورجيّا**، وذروتها **الأفخارستيّا**. فالقسم الأوّل من القدّاس هو خدمة إعلان سرّ الخلاص، والقسم الثاني خدمة التقديس أو الذبيحة. بل كلّ سرّ من أسرار الخلاص مؤلّف من هذين القسمين.

لقب "عبد" بمعنى "خادم" هو **لقب شرف**، لكونه دعوة من الله للمساهمة في تحقيق تصميمه الخلاصيّ، في الذات وفي الآخرين. وهو في الوقت عينه **واجب ومسؤوليّة**، لأنّه يقتضي الالتزام بالخلاص الشخصيّ والشامل. إنّ عدم الالتزام يعني رفض الخدمة، وهذا الرفض هو أساس كلّ خطيئة، لأنّه رفضٌ للفداء البشريّ ولتمجيد الله في الانسان المفتدى (الدستور المجمعيّ في الليتورجيّا المقدّسة، ٥).

٢. الخدمة في الكنيسة

الكنيسة خادمة الخلاص في أبعاده الثلاثة المترابطة والمتكاملة: **خدمة الكلمة** بإعلان الانجيل، كرازةً وتعليمًا من أجل ولادة الايمان في النفوس وتغذيته، و**خدمة النعمة** بتوزيع أسرار الخلاص من أجل شفاء النفوس من الخطيئة وتحريرها من العبوديّات وامتلائها من الحياة الالهيّة، و**خدمة**

المحبّة بتعزيز حياة الشركة بين الناس، القائمة على الأخوّة والتضامن، على العدالة والسلام، فعلى محاربة الشرّ والظلم.

هذه الخدمة المثلّثة هي **امتداد لرسالة خادم الربّ** يسوع المسيح، الذي تنبّأ عنه أشعيا، **ومشاركة في خدمته** النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة. بهذا المعنى قال يسوع عن نفسه للتلاميذ: "أنا بينكم كالخادم" (لو ٢٢/٢٧)، ودعاهم لهذه الخدمة الشريفة: "ليكن المترئّس فيكم كأنّه الخادم" (لو ٢٢/٢٦). وأرسلهم لتأديتها: "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم (خدمة التعليم)، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (خدمة التقديس)، وعلّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصيتكم به (خدمة المحبّة)، وهاءنذا معكم طوال الأيّام إلى نهاية العالم" (امتداد خدمته والمشاركة فيها) (متّى ١٩/٢٨-٢٠).

عندما أعلن الملاك لمريم العذراء دعوة الله لتكون أمّ الكلمة المتجسّد بقوّة الروح القدس لخلاص البشر، أعلنت أنّها "**خادمة الربّ**" (لو ١/٣٨). بفضل هذه الخدمة أصبحت مريم "ملكة السماء والأرض"، شريكة ابنها "خادم الربّ" الذي أصبح الملك السماويّ الممجّد إلى الأبد.

القدّيس، عندما تبدأ دعوى تطويبه، يسمّى "خادم الله"، ويجري التحقيق حول بطولة فضائله في الخدمة المثلّثة، أكان إكليريكيًّا أم علمانيًّا.

لكلّ مؤمن في الكنيسة دور في الخدمة بحكم معموديّته التي أشركته في خدمة المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة، وله بالتالي مسؤوليّته في الكنيسة والمجتمع. تدعو الكنيسة المؤمنين العلمانيين لمؤازرة الرعاة في خدمة الجماعة الكنسيّة من أجل نموّها وحياتها، ممارسين خدمتهم وفقًا للنعمة والمواهب التي يوزّعها الروح القدس عليهم. إنّهم يمارسون خدمتهم سواء بالمشاركة في المجالس الرعويّة والحركات الرسوليّة أم بالخدم

الفرديّة والجماعيّة: **فعلى صعيد خدمة الكلمة** يشاركون في التعليم وإرشاد الأطفال والشبيبة وإحياء السهرات الانجيليّة، والقيام بنشاط إعلاميّ في شتّى الوسائل المقروءة والمنظورة والمسموعة؛ **وعلى صعيد خدمة التقديس** يشاركون في إحياء الخدم الليتورجيّة على المذبح، وفي جوقة الرعيّة، وإعداد الكنيسة لمختلف حفلاتها الطقسيّة، وتحضير النوايا وتلاوة القراءات المقدّسة، وتنظيم الزيّاحات والرتب؛ **وعلى صعيد خدمة المحبّة يشاركون** في خدمة الفقراء، والاعتناء بالمعوزين واليتامى والمرضى والعجزة والمعوّقين، ويعملون على مصالحة المتخاصمين، وتنظيم إحصاء أبناء الرعيّة.

٣. العبادة الليتورجيّة أساس كلّ خدمة

ليست الليتورجيّا مجرّد حفلات دينيّة محفوظة للكهنة والمكرّسين وبعض المؤمنين، بل هي **العبادة الالهيّة** التي تشركنا في عمليّة الفداء الخلاصيّ وتمجيد الله من خلال بشريّتنا المفتداة بنعمة يسوع المسيح. إنّ العبادة الالهيّة هي الوسيلة الوحيدة التي أرادها الله لكي "يخلّص جميع الناس، ويبلغوا إلى معرفة الحقّ" (١ طيم ٢/ ٤). تمّت الليتورجيّا أوّل ما تمّت في العهد الجديد بشخص يسوع المسيح، ابن الله، الكلمة المتجسّد، الذي مسحه الروح القدس ليعلن بشرى الانجيل لفقراء هذا العالم، ويشفي القلوب التي كسرتها الخطيئة والشرّ. فأصبح "طبيب الأجساد والأرواح" و"الوسيط بين الله والناس" (١ طيم ٢/٥). وسمّي "عبد الربّ"، بالمفهوم الذي ذكرنا (الدستور المجمعيّ في الليتورجيّا، ٥). **فبسرّه الفصحيّ**، الموت من أجل فدائنا من خطايانا والقيامة من أجل تقديسنا، فجّر في العالم ينابيع أسرار الخلاص. وكانت الكنيسة، المولودة من هذا السرّ الفصحيّ، كسنبلة من حبّة قمح، سرّ الخلاص الشامل وأداته.

العبادة الالهيّة في الليتورجيّا هي إعلان الانجيل لجميع الناس مع مضمونه سرّ المسيح الفصحيّ، وتحقيق عمل الخلاص النابع من هذا السرّ الفصحيّ، بواسطة ذبيحة الأفخارستيّا والأسرار.

بالمعموديّة، التي هي باب جميع الأسرار، يندمج المؤمنون في السرّ الفصحيّ ويصبحون "عابدين حقيقيين يريدهم الله" (يو ٤/٢٣). وهكذا، منذ العنصرة، راحت الكنيسة تجتمع في يوم الربّ لتحتفل بالسرّ الفصحيّ بتلاوة الكتب المقدّسة، والاحتفال بالأفخارستيّا، وتقديم صلاة الشكر لله على ما أغدق على العالم من عطايا بالمسيح يسوع، وبقوّة الروح القدس (في الليتورجيّا، ٦). نقرأ في كتاب أعمال الرسل: "وكان جماعة المؤمنين يواظبون على تعليم الرسل، وكسر الخبز والصلوات، والمشاركة في ما يملكون" (٢/٤٢-٤٤).

العبادة هي "بالروح والحق" (يو ٤/٢٤)، ولا يقوم هذا الموقف على مسعى داخليّ محض، بل ترافقه علامات وأوضاع خارجيّة مثل الانطراح على الأرض والسجود والانحناءة والوقوف. إنّه موقف ينطلق من تكريس الكيان كلّه من روح ونفس وجسد، على ما يدعو بولس الرسول: "قدّسكم الله تقديسًا تامًّا روحًا ونفسًا وجسدًا" (١ تسا ٥/٢٣).

أمام مجد الربّ انطرح حزقيال أرضًا: "وكان منظر يشبه مجد الربّ، فنظرتُ وسقطتُ على وجهي وسمعتُ صوت متكلّم يقول لي: "يا ابن الانسان قم على قدميك فاتكلّمَ معك". فدخل فيَّ الروح، وقال لي: "إنّي مرسلك... فلا تخف" (حزقيال ١/٢٨؛ ٢/١-٧). وشاول عندما ظهر له يسوع على طريق دمشق "وسطع نور من السماء حوله، سقط إلى الأرض وسمع

صوتًا يقول له: قم فادخل المدينة، ويقال لك ما يجب عليك أن تفعل" (اعمال ٩/٣-٦).

هذه حال كلّ واحد منّا أمام قداسة الله المتجلّية في الليتورجيّا. برهبة نخشع أمام عظمة الله، ومنه نسمع صوتًا ليومنا، وننطلق لحياة جديدة، مثل حزقيال وشاول-بولس.

■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. **السلام عطيّة من الله وحاجة للمجتمعات البشريّة**، وهو ينطوي على كلّ ما يحتاج إليه الانسان والجماعات من خيور من أجل حياة كريمة وسعيدة وهادئة. فلا بدّ من **التربية على السلام**، وعلى ركائزه الأربع: الحقيقة والعدالة والمحبّة والحريّة (البابا يوحنّا الثالث والعشرون: سلام على الأرض).

تبدأ التربية على السلام، بركائزه الأربع، **مع الالتزام بتربية الذات والآخرين** بحكم ديننا المسيحيّ. فإعلان السلام هو البشرى بالمسيح الذي "هو سلامنا" (افسس ٢/١٤)، وكرازتنا بالانجيل هي التزام "بإنجيل السلام" (افسس ٦/١٥)، والدعوة الشاملة هي أن نكون "فاعلي سلام لنصبح أبناء لله" (متّى ٥/٩).

السلام ممكن وواجب. **هو ممكن لأنّ** أساسه **الحقيقة** المطلقة، حقيقة الله والانسان والتاريخ، التي أعلنها ابن الله المتجسّد، يسوع المسيح؛ ولأنّ الدافع إليه هو **المحبّة** المسكوبة في القلوب بالروح القدس، كثمرة للفداء. والسلام واجب لأنّ **العدالة** بين الناس تقتضيه، ولان **الحريّة** لا تتوفّر وتعاش بدونه.

وتتّسع مساحة التربية على السلام لتصبح **تربية على الشرعيّة**. من شأن هذه أن تحمل الأفراد والشعوب على احترام السلطة القائمة والدساتير، واحترام النظام الدوليّ مع التقيّد بالتزاماته. فالقانون يعزّز السلام ويضمنه. فهو حاجة دائمة سعت إليها الشعوب والأمم على مرّ العصور. فكانت القاعدة الأساسيّة: "المعاهدات تستدعي الحفظ acta sunt servanda". لكنّ الظاهرة في عالم اليوم، في بعض أنحائه، هي اللجوء إلى حقّ القوّة بدلاً من قوّة الحقّ.

عندما أنشئت منظّمة الأمم المتّحدة ومجلس الأمن الدوليّ كانت الغاية حماية السلام والأمن العالميين، ومنع اللجوء إلى القوّة. ولكن في الخمس عشرة سنة الماضية تعثّرت هذه الغاية لأسباب هي: انقسام الجماعة الدوليّة إلى مجموعات متعارضة، والحرب الباردة في جزء من الكرة الأرضيّة، والنزاعات المسلّحة في مناطق أخرى. فلا بدّ من إعادة إحياء منظّمة الأمم المتّحدة لتكون حقًّا "أسرة الأمم" (البابا يوحنّا بولس الثاني خطاب أمام الجمعيّة العامّة في ١٩٩٥/١٠/٥).

٣. **الديموقراطيّة** القائمة على حكم الشعب الذي يسائل المسؤول الذي ينتدبه للحكم باسمه ويحاسبه، لا تستقيم من دون الأخلاقيّة الطبيعية. الكنيسة من هذا القبيل تلعب دورًا أساسيًّا في تنوير ضمائر المسؤولين. إنّ استقلاليّة العمل السياسيّ لا تستطيع الاستغناء عن التعليم الخلقيّ والاجتماعيّ الذي تقدّمه الكنيسة.

إنّ السلطة التعليميّة في الكنيسة لا تبتغي ممارسة سلطان سياسيّ أو إلغاء حريّة الرأي عند أبنائها في المسائل الزمنيّة الراهنة، بل تبتغي، كما يملي عليها واجبها الخاصّ، تثقيف ضمير المؤمنين وإنارتهم، وبخاصّة

ضمائر الذين يتكرّسون للالتزام في الحياة السياسيّة، بهدف أن يأتي نشاطهم دائمًا في خدمة إنماء الشخص البشريّ إنماءً شاملاً، وتعزيز الخير العامّ. ولذا، لا يمكن اعتبار تعليم الكنيسة الخلقيّ والاجتماعيّ تدخّلاً في حكم البلدان (مجمع عقيدة الايمان: مذكّرة تعليميّة حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك بالحياة السياسيّة، ٦).

تهدف الكنيسة في تعليمها إلى بناء **وحدة الحياة عند المسيحيين**، كأعضاء في الكنيسة وفي المجتمع البشريّ. فلا يمكن أن يجمع وجوُدهم بين حياتين متوازيتين: إحداهما "**روحيّة**" بقيمها ومقتضياتها، والأخرى "**علمانيّة**" تتمثّل في حياة الأسرة والعمل والعلاقات الاجتماعيّة، والالتزام السياسيّ، والنشاطات الثقافيّة. إنّ كلّ نشاط وكلّ حالة وكلّ التزام فعليّ، من القطاعات المذكورة، إنّما يشكّل فرصة مؤاتية لممارسة الايمان والرجاء والمحبّة بصفة مستمرّة. إنّ كلّ قطاعات الحياة العلمانيّة تندرج في تدبير الله، الذي يريدها "**مجالاً تاريخيًّا**" للوحي ولتحقيق محبّة المسيح، لمجد الله الآب وخدمة الأخوة (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٥٩).

■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نيهي اليوم تقبّل النصّ التاسع عشر من المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، في النقطة الرابعة من فصل التحدّيات وهي: **الانتشار المارونيّ في أبعاده السياسيّة** (الفقرات ٥٣-٥٩).

يدعو النصّ أبناء الكنيسة المارونيّة المنتشرين في مختلف البلدان والقارّات إلى **الاندماج** في الكنيسة الجامعة وفي أوساطهم الجديدة، وإلى

المشاركة في الحياة العامّة مع الشعوب الذين أصبحوا مثلهم مواطنين مكتملي الحقوق والواجبات، وملزمين بالأمانة لأوطانهم الجديدة (فقرة ٥٣).

ويرسم خطّة لربط الانتشار بالحياة الوطنيّة في لبنان، من أجل حفظ هويّة الموارنة المنتشرين الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، والتزامهم بلبنان الرسالة كقاعدة مشتركة، بين المقيمين والمنتشرين، في الفكر والعمل السياسيين. تقتضي هذه الخطّة أوّلاً توضيح طبيعة العلاقة بين المنتشرين ووطنهم الأمّ، مع التشديد على حثّهم على المشاركة في الانتخاب والترشيح؛ ثمّ العمل على مكافحة أسباب الهجرة، والمساهمة في بناء دولة الحقّ التي تكرّس المساواة في الحقوق والواجبات وتؤمّن حياة كريمة لأبنائها؛ وأخيرًا العمل على إبقاء لبنان المستقبل أمينًا لدعوته التاريخيّة ونقل تراثه الانسانيّ والحضاريّ إلى اللبنانيين المنتشرين ليحافظوا عليه وجدانًا نفيسًا يقود علاقاتهم به (فقرة ٥٤ و٥٥). وتقتضي الخطّة حفظ الإرث الذي يقدّمه الوطن للّبنانيّ، أعني: الأمانة لله، وقيم الحريّة بأبعادها الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وخبرة العيش المشترك بين المسيحيّة والإسلام، والسير مع الآخر مهما كان صعبًا، والمساواة في الحقوق والواجبات (الفقرة ٥٦ و٥٧).

ويوجّه النصّ المجمعيّ الدعوة إلى الموارنة المنتشرين في الغرب ليشدّدوا **الارتباط بتاريخهم** والمحافظة على هويّتهم المشتركة، وإلى الموارنة المقيمين ليعزّزوا **التعاون مع العالم العربيّ** من أجل توفير شروط التلاقي والحوار البنّاء، فيظلّ هذا الشرق أرضًا طيّبة لعبادة الله وترقّي الانسان (الفقرة ٥٨ و٥٩).

***

صلاة

هلمّ أيّها الروح القدس، واملأنا من روح الحكمة والعلم والفهم والمشورة، لكي نعرف إرادة الآب، فنخدمَه متمّمين إيّاها في حياتنا اليوميّة ونشاطاتنا الروحيّة والزمنيّة. إملأنا من روح القوّة لنصمد في خياراتنا الحسنة بثبات وسط المحن والمضايقات. إملأنا من روح التقوى ومخافة الله لننتصر على "سرّ الإثم"، ونحمل محبّة الله، كَفي إناء من خزف سريع العطب، ونسهر على حفظها وتجسيدها في الأعمال. أيّها الروح القدوس، أسكن في أعماق كلّ إنسان لكي يصيرَ مجدَ الله الحيّ. لك التسبيح والشكر مع الآب والابن إلى الأبد، آمين.

صدر في السلسلة

- المسيح نور ينجلي للأمم (زمن الميلاد ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- نور إنجيل مجد المسيح (زمن الغطاس والتذكارات ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- معرفة حقيقة المسيح تحرّر (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- الانجيل قوّة الله لحياة جميع من يؤمن به (زمن القيامة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- الشهادة لإنجيل نعمة اللّه (زمن العنصرة ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- كلمة الحقّ في الإنجيل تنمو وتثمر (زمن العنصرة - تابع - ٢٠٠٥- ٢٠٠٦)
- الشّهادة لإنجيل نعمة اللّه (زمن الصليب ٢٠٠٥-٢٠٠٦)
- إعلان إنجيل السّلام (زمن الميلاد ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- ليملأ سلام المسيح قلوبكم (زمن الدّنح أو الغطاس ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- السلوك اللائق بإنجيل المسيح (زمن الصوم الكبير ٢٠٠٦-٢٠٠٧)
- الإنجيل بشارة أبديّة لسكّان الأرض (زمن القيامة ٢٠٠٦-٢٠٠٧)





ISBN 978-9953-457-15-4